الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي و البحث العلمي
جامعة سعيدة الدكتور مولاي الطاهر
كلية العلوم الإنسانية و الاجتماعية
قسم العلوم الاجتماعية
تخصص علم النفس العيادي

مذكرة لنيل شهادة ماستر علم النفس العيادي

بعنوان:

التعلق غير الآمن و الاضطرابات النفسية لدى الطفل المتبنى

-دراسة سيكوديناميكية-

من إعداد الطالبة :
* خلفاوي آمال

تحت إشراف الأستاذة:
* **الدكتورة** رماس رشيدة

أعضاء لجنة المناقشة

الدكتورة كريم	أستاذ محاضر	جامعة سعيدة	رئيساً
الدكتورة رماس رشيدة	أستاذ محاضر	جامعة سعيدة	مشرفاً ومقرراً
الدكتور بوحفص طارق	أستاذ محاضر	جامعة سعيدة	مناقشا

السنة الجامعية: 2025/2024

شكر و تقدير

الحمد لله الذي علّم الإنسان ما لم يعلم،

وألهمه سُبل الفهم والبحث، وساق له من الأسباب ما يُعينه على بلوغ مراده.

يا رب، لك الحمد و الشكر، على ما أنعمت، وعلى ما منحت، وعلى ما وهبت.

إلى كل من كان نورًا في طريقي، وصوتًا يشجعني حين خف صوتي، أُهدي أصدق عبارات الامتنان.

إلى أستاذتي الفاضلة رماس رشيدة ، شكري لا تفيه الكلمات، فقد كنت دليلًا أمينًا في مسيرة العلم،

حريصًة على أن أبصر الطريق حينما أضلّه، فجزاكِ الله خير الجزاء، وبارك في علمكِ وعملكِ.

وإلى كل أساتذتي خلال مشواري العلمي و كل من علمني و سقاني من علمه وخبرته.

لكم بصمة في كل سطر من هذه المذكرة، وفي كل فكرة وُلدت من عناء التأمل والبحث.

اللهم اجعل هذا العمل حجة لي لا علي، وافتح لي به أبواب الخير.

إهداء

إلى من غرست في قلبي حب العلم، وسقتني من حنانها وإيمانها،
إلى من حملتني حين تعبت، وابتسمت لي حين بكيت،
و إلى من كان وجودها في حياتي دعامة وسندًا.
* إلى أمي العزيزة *
شكرًا لأنك كنت دائمًا النور الذي أنار طريقي.
إلى كل من فتح لي باب ثقته دون تردد، إلى أطفال العينة وأسرهم، الذين منحوني وقتهم، وشاركوا تجاربهم بصدق.
إليكم شكري العميق، فبفضل تعاونكم كُتب لهذا البحث أن يُبصر النور
إلى كل طفل متألم صامت، وإلى كل باحث يسعى لفهم أعماق النفس الإنسانية.
أهدي هذا العمل المتواضع، راجية أن يكون بصمة علم مخلصة في طريق المعرفة والعطاء.

آمال

" التعلق غير الآمن و الاضطرابات النفسية لدى الطفل المتبنى "

ملخص الدراسة:

تسعى هذه الدراسة إلى فهم العلاقة بين التعلق غير الآمن والاضطرابات النفسية لدى الطفل المتبنى، من منطلق أن نمط التعلق المبكر يعد عنصرا حاسما في تشكل البناء النفسي والتنظيم العاطفي لدى الفرد. فالطفل المتبنى غالبا ما يمر بتجارب فقدان أو حرمان عاطفي في سن مبكرة، ما يجعله عرضة لتطوير نمط تعلق غير آمن يؤثر على تصوراته الداخلية لذاته وللآخر.

المنهجية: اعتمدت الدراسة على المنهج العيادي الكيفي من خلال دراسة حالتين لطفلين متبنيين يعانيان من صعوبات نفسية وسلوكية. استخدمت أدوات تشخيصية نوعية مثل المقابلة نصف الموجهة، واختبار رسم العائلة، وتقنية اللعب، والملاحظة العيادية، مع تفسير النتائج في إطار المرجعية النفسدينامية ونظرية التعلق.

النتائج: أظهرت النتائج أن الطفلين يعبران عن نمط تعلق غير آمن (تجنبي وغير منظم)، مع ظهور اضطرابات نفسية تمثلت في توظيفات حدية واضطرابات سلوكية باعتماد على ميكانيزمات دفاعية. كما بينت الدراسة أن ضعف العلاقة الوالدية و أسلوب الرعاية غير الملائم في الأسرة البديلة يزيد من شعور الطفل بانعدام الأمن النفسي، و بناء توازن داخلي غير مستقر.

الكلمات المفتاحية: التعلق غير الآمن، الطفل المتبنى، الاضطرابات النفسية.

" L'attachement insécure et les troubles psychiques chez l'enfant adopté "

Résumé de l'étude:

Cette étude cherche à comprendre la relation entre l'attachement insécure et les troubles psychiques chez l'enfant adopté, en considérant que le type d'attachement précoce est un élément déterminant dans la formation de la structure psychologique et la régulation émotionnelle de l'individu. L'enfant adopté, souvent confronté à des expériences de perte ou de négligence émotionnelle précoces, est plus susceptible de développer un attachement insécure, ce qui perturbe ses représentations internes de soi et d'autrui, et conduit à l'utilisation de mécanismes de défense pouvant évoluer vers des troubles psychiques.

Méthodologie :

L'étude a adopté une approche clinique qualitative en étudiant deux cas d'enfants adoptés présentant des difficultés psychologiques et comportementales. Des outils diagnostiques qualitatifs ont été utilisés, tels que l'entretien semi-directif, le test du dessin de la famille, la technique du jeu et l'observation clinique, avec une interprétation des résultats dans le cadre de la référence psychodynamique et de la théorie de l'attachement.

Résultats :

Les résultats ont révélé que les deux enfants présentent un attachement insécure (évitant et désorganisé), avec des troubles psychiques se manifestant par une organisation borderline, des troubles comportementaux et l'utilisation de mécanismes de défense. L'étude a également montré que la faiblesse du lien parental et des pratiques de prise en charge inappropriées dans les familles d'accueil aggravent le sentiment d'insécurité psychologique et empêchent le développement d'un équilibre interne stable.

Mots-clés : attachement insécure, enfant adopté, troubles psychiques

"Insecure attachment and psychological disorders in the adopted child "

Abstract:

This study aims to explore the relationship between insecure attachment and psychological disorders in adopted children, considering that early attachment patterns are a critical factor in shaping psychological structure and emotional regulation. Adopted children, often experiencing early emotional loss or neglect, are more vulnerable to developing insecure attachment, which disrupts their internal representations of self and others, leading to the use of defensive mechanisms that may later manifest as psychological disorders.

Methodology:

The study adopts a qualitative clinical approach, examining two cases of adopted children with psychological and behavioral difficulties. Qualitative diagnostic tools used include semi-structured interviews, the Family Drawing Test, play-based techniques, and clinical observation, with results interpreted within the psychodynamic framework and attachment theory.

Results:

Results showed that both children exhibit insecure attachment styles (avoidant and disorganized), with psychological disorders manifested in borderline personality organization, behavioral disturbances, and the use of defensive mechanisms. The study also revealed that weak parental bonding and inadequate caregiving practices in foster families exacerbate feelings of psychological insecurity and hinder the development of a stable internal balance.

Keywords: insecure attachment, adopted child, psychological disorders.

فهرس المحتويات:

شكر و تقدير:.....أ

إهداء: .....ب

ملخص باللغة العربية:.....ج
ملخص باللغة الفرنسية: ..... د
ملخص باللغة الإنجليزية: ..... هـ
فهرس المحتويات: ..... و
فهرس الملاحق:..... ي
مقدمة: 1
الفصل الأول: مدخل إلى الدراسة
1. الإشكالية: 6
2. الفرضية: 10
3. المفاهيم الإجرائية للبحث:.....11
1.3. التعلّق غير الآمن إجرائيًا:.....11
2.3. الاضطرابات النفسية إجرائيًا:.....11
3.3. الطفل المتبنى إجرائيًا: 12
4. الإطار النظري:.....12
5. أسباب اختيار الموضوع : 15
6. أهمية الدراسة:.....16
7. أهداف الدراسة: 17
8. صعوبات الدراسة: 18
خلاصة: 19
الفصل الثاني: التعلق
تمهيد: 21
1. الإطار المفاهيمي للتعلق: 21
2. التعلق غير الآمن: 22

3. أنماط التعلق:	**23**
1.3. نمط التعلق غير آمن القلق:.....	**24**
2.3. نمط التعلق غير الآمن التجنبي :	**25**
3.3. نمط التعلق الغير آمن غير المنظم:	**25**
.4 علاقة التعلق بالنماذج الداخلية و انعكاساته:.....	**26**
5. التعلق و علاقته بالاضطرابات النفسية:.....	**28**
خلاصة:	**31**
الفصل الثالث: الإجراءات المنهجية للدراسة	
تمهيد:	**34**
1. المنهج العيادي:.....	**35**
2. دراسة الحالة:	**35**
3. المقابلة:.....	**37**
4. الملاحظة:.....	**41**
1.4. الملاحظة للحالات:	**42**
2.4. الملاحظة الخاصة بالوالدين:.....	**44**
5. اختبار رسم العائلة :	**47**
6. مجتمع البحث:.....	**48**
خلاصة :	**49**
الفصل الرابع: عرض و مناقشة نتائج الدراسة	
تمهيد:	**52**
I.الدراسة الأساسية:.....	**53**
1. نتائج المقابلات :	**54**

1.1. تقديم الحالة الأولى : **54**
2.1. تقديم الحالة الثانية : **63**
II. مناقشة نتائج الدراسة: **71**
1. مناقشة النتائج على ضوء الفرضية و الإطار النظري :..... **71**
2. الاستنتاج: **74**
خاتمة: **76**
قائمة المصادر و المراجع:..... **78**
الملاحق:..... **81**

فهرس الملاحق:

صورة رسم اختبار العائلة للحالة الأولى **81**
صورة رسم اختبار العائلة للحالة الثانية **81**

مقدمة

مقدمة:

تعتبر مرحلة الطفولة من أهم المراحل التي تحدد مسار نمو الإنسان النفسي والعاطفي، حيث تعد السنوات الأولى من عمر الطفل الأساس الذي يتم البناء عليه بقية حياته، ففي هذه الفترة تنشأ الروابط العاطفية والوجدانية التي تبني العلاقات الاجتماعية المستقبلية للطفل، وتؤثر بشكل كبير على سلوكياته، طريقة تفكيره بل وعلى شخصيته بالكامل.

في هذا السياق يتبلور مفهوم التعلق باعتباره الرابط العاطفي الذي يربط الطفل بمقدمي الرعاية وهو الرابط الذي يمكن أن يكون محوريا في استقرار حياة الطفل النفسية إذ يرتبط التعلق ارتباطا وثيقا بنظريات النمو النفسي.

في حين أن التعلق غير الآمن قد يسهم في ظهور اضطرابات نفسية تؤثر على نمو الطفل، إذ تشكل نظرية التعلق إحدى الأسس الرئيسية لفهم علاقة الطفل بالعالم المحيط به، حيث تبرز الحاجة إلى أن يتلقى الطفل استجابة عاطفية من مقدمي الرعاية لاحتياجاته الأساسية من الأمان والرعاية والاهتمام، فعند غياب هذه الاستجابة أو في حال كانت مشوشة أو غير متسقة يترتب على ذلك خلق نمط من التعلق غير الآمن، الذي يعد من العوامل الرئيسية التي تساهم في تطور مشاكل نفسية على المدى الطويل.

يختلف التعلق غير الآمن باختلاف الأنماط التي يمكن أن يتخذها كالتعلق القلق، التعلق المتجنب، أو التعلق غير المنظم، وكل نمط من هذه الأنماط يعكس حالة نفسية غير مستقرة تؤثر في النمو العاطفي للطفل.

يتضاعف أثر التعلق غير الآمن في حالة الأطفال الذين نشأوا في ظروف استثنائية مثل الأطفال المتبنين، فعلى الرغم من أنهم قد يعيشون في بيئة جديدة ومحفزة بعد مرحلة من الفقدان أو الاضطراب، فإن تجاربهم السابقة قد تترك أثرا طويل الأمد على نموهم النفسي.

كما تعتبر الدراسات النفسية الخاصة بالأطفال المتبنين من إحدى المجالات البحثية التي تحتاج إلى مزيد من الدراسة.

وفي هذا السياق، يتعين على الباحثين المختصين أن يستكشفوا العلاقة الدقيقة بين التعلق غير الآمن لدى الأطفال المتبنين وتأثيراته النفسية، وخاصة من حيث الاضطرابات النفسية التي قد تنشأ كنتيجة مباشرة لهذا التعلق غير الآمن، فالفهم المتعمق لهذه العلاقة يسمح بتحديد التدخلات المناسبة، التي قد تساعد الأطفال المتبنين على التكيف بشكل أفضل مع بيئتهم العاطفية والاجتماعية، وفي هذه الأثناء يتعين التركيز على دراسة الآليات النفسية الخاصة التي يستخدمها الأطفال للتكيف مع هذه التحديات و التي تمثل طرقا دفاعية أو آليات توظيف نفسية تهدف إلى التقليل من تأثير التعلق غير الآمن .

كما تتمثل أهمية هذا البحث في تقديم رؤية شاملة لكيفية تأثير التعلق غير الآمن في ظهور الاضطرابات النفسية لدى الطفل المتبنى، وتوضيح كيفية ارتباط تلك التأثيرات بالظروف الخاصة التي مر بها الطفل في مرحلة حياته المبكرة.

يهدف هذا البحث إلى دراسة التأثيرات النفسية الناتجة عن نمط التعلق غير الآمن, وخصوصًا في سياق الرعاية الخاصة بالأطفال المتبنين، بما يساعد في تصميم التدخلات النفسية الملائمة مع الأخذ في الاعتبار أن هذه الآليات التي قد تكون سلبية أو إيجابية، وقد تساهم في تطور الصحة النفسية للطفل .

إن دراسة هذه الجوانب النفسية تتطلب منهجا عياديا كيفيا يستطيع أن يحقق فهما دقيقا لاحتياجات الطفل النفسية، وهو ما سيتناوله هذا البحث من خلال تحليل الحالات السريرية ومقابلات مع الأطفال المتبنين وأسرهم. سيعتمد البحث أيضا على أدوات تحليلية متعددة مثل الرسومات النفسية واللعب لفهم الطريقة التي يعبر بها الأطفال عن مشاعرهم وصراعاتهم النفسية بشكل غير لفظي، من خلال هذه الأدوات يمكن أن نتوصل إلى معرفة أعمق حول كيفية تأثير التعلق غير الآمن على سلوكيات الأطفال وكيفية تكوين أنماطهم النفسية التي قد تساهم في ظهور الاضطرابات النفسية و بالإضافة إلى ذلك سيتم استعراض الأدبيات المتعلقة بموضوع التعلق غير الآمن لدى الأطفال المتبنين من خلال المنظور النفسي، مع التركيز على فهم العلاقة بين التجارب المبكرة والعواقب النفسية التي قد تنشأ في المستقبل.

لقد ارتكزنا في بناء هذه الإشكالية على مرجعية نظرية ذات طابع تحليلي نفسي دينامي، مدعمة بجملة من الدراسات السابقة التي تناولت العلاقة بين أنماط التعلق غير الآمن والاضطرابات النفسية لدى الطفل المتبنى، حيث تم من خلالها معالجة مختلف المتغيرات المتعلقة بنوعية العلاقة التي يقيمها الطفل المتبنى بمحيطه والآثار النفسية الناتجة عنها.

كما قد خصص الفصل الأول لعرض مدخل عام للدراسة، تضمن الإشكالية، الفرضيات، أهمية البحث، وأهدافه، إضافة إلى تحديد المفاهيم الأساسية.

أما الفصل الثاني، فقد تناول الإجراءات المنهجية المعتمدة، حيث تم توضيح المنهج المستخدم، فئة الدراسة، أدوات جمع البيانات.

في حين خصص الفصل الثالث لعرض وتحليل نتائج الدراسة ومناقشتها في ضوء الإطار النظري المعتمد والمقاربات النفسية ذات الصلة.

وقد تم الاعتماد في إنجاز هذه الدراسة على المنهج العيادي، بالاستناد إلى تحليل رسومات الطفل (اختبار رسم العائلة)، لما له من قيمة إسقاطية في الكشف عن ديناميات التعلق والاضطرابات النفسية.

كما مكننا هذا التوجه من تأويل النتائج بشكل يتماشى مع المرجعية النظرية التي تم تبنيها في معالجة موضوع البحث.

الفصل الأول

مدخل إلى الدراسة

1. إشكالية الدراسة
2. فرضية الدراسة
3. المفاهيم الإجرائية
4. الإطار النظري
5. أسباب اختيار الموضوع
6. أهمية الدراسة
7. أهداف الدراسة
8. صعوبات الدراسة

1. الإشكالية:

تعتبر الطفولة مرحلة جوهرية في تكوين شخصية الإنسان، حيث تبنى خلالها اللبنات الأولى للبنية النفسية و الانفعالية. وقد اعتبرت هذه المرحلة وفقا لعلم النفس النمائي، فترة حساسة تؤسس لأنماط التفاعل والتكيف التي سترافق الفرد طيلة حياته .(Piaget, 1972) فهي الفترة التي تكتسب فيها أولى الخبرات العاطفية داخل العلاقة مع مقدم الرعاية.

في هذا السياق، تمثل الصحة النفسية للطفل حجر أساس في بناء توازن داخلي يسمح له بالنمو السليم، ليس فقط من حيث غياب الاضطرابات، بل أيضا من حيث القدرة على تنظيم المشاعر وبناء علاقات متوازنة ومواجهة الضغوط .(WHO, 2001)

ضمن هذا الإطار، يعد مفهوم التعلق (Attachment) مدخلا نظريا أساسيا لفهم تشكل التنظيم النفسي والانفعالي لدى الطفل، إذ يعرف Bowlby التعلق بأنه نتاج سلوكيات تسعى إلى الحفاظ على القرب من شخص معين، و أن التواصل مع الآخرين هو حاجة اجتماعية أساسية وفطرية. بهذا المعنى فهو يخالف الفريق الذي يرى أن الإحتياجات الأساسية الوحيدة هي إحتياجات الجسد وأن تعلق الطفل هو مجرد دافع ثانوي تدعمه الحاجة الأساسية للطعام. (Bowlby 1969)

لهذا فإن وظيفة التعلق هي وظيفة كيفية للحماية و الإستكشاف، تشكل الأم أو من ينوب عنها أساس الأمان لطفلها، فلدى المولود الجديد مجموعة من السلوكيات الغريزية كالتشبث

والمص والبكاء والإبتسام والتي يمكن إستخدامها لصالح التعلق، فبعد سبعة أشهر يتم إنشاء علاقة إرتباطية صريحة و إنتقائية مع شخص مميز.(Bowlby 1969)

مما أقره كل من erikson و winnicott إفادة بأن تحقيق هذا التوازن يعتمد بالأساس على نوعية الرعاية المبكرة التي يتلقاها الطفل، والتي تعد الأساس الأولي لتكوين الإحساس بالأمان. (Winnicott 1965) & (Erikson 1959)

لهذا فإن أهمية جودة التفاعل بين الوالدين والطفل، راجعة إلى كون الآباء الذين ينتبهون و يستجيبون لاحتياجات أطفالهم يساهمون في نموهم العاطفي ويخلقون أساسا قويا للعلاقات المستقبلية، ومنه فإن النظرية التي وضعها winnicott تقدم فهما غنيا ودقيقا للديناميكيات بين الأطفال و شخصياتهم الوالدية، وحول مفهوم الأمومة الجيدة بما فيه الكفاية والذي يشير إلى أن الأم قادرة على تلبية احتياجات طفلها بشكل مناسب، أي أن الأم الجيدة هي التي تكون حاضرة ومهتمة ومستجيبة ولكنها تترك أيضا مساحة للطفل لتطوير مهاراته وقدرته على الصمود، وهذا ما يدل على أن الافتقار إلى الكمال في رعاية الوالدين ليس مقبولا فحسب، بل إن إتباع نهج متوازن بين دعم وتشجيع الاستقلالية أمر بالغ الأهمية من قبل الوالدين.

غير أن هذا التنظيم قد يتعرض لخلل في حالات يغيب فيها الحضور الثابت والمتفاعل للأم، كما هو الحال في تبني الأطفال، حيث قد يعيش الطفل تجارب فقدان مبكرة، أو يتعرض لقطيعة في علاقات التعلق الأولى. (winnicott 1966)

اضافة لما أوضحه harry بدراسته على القرود الرضيعة، أن غياب الرعاية حتى لو وُفرت الحاجات البيولوجية، يُنتج اضطرابات سلوكية وانفعالية عميقة. (Harry Harlow 1958)

أوضح spitz أيضا في ملاحظاته على الأطفال المتروكين في المؤسسات إلى أن غياب العلاقة العاطفية يؤدي إلى ما أسماه " الاكتئاب اللامؤسساتي" ، والذي يرتبط بتدهور في النمو العاطفي والمعرفي. (Spitz 1945)

فقد عززت marry aisworth هذا الطرح من خلال دراستها حول "الموقف الغريب"، موضحة أن نوعية استجابة الأم للاحتياجات العاطفية تُنتج أنماط تعلق مختلفة، منها ما هو آمن، ومنها ما هو غير آمن.(Ainsworth 1978)

غير أن bowlby انطلق من فرضية مفادها أن الطفل بحاجة إلى علاقة مستقرة، آمنة ومتجاوبة مع مقدم رعاية رئيسي، تسمح له بتشكيل نموذج داخلي عن الذات والآخر. هذه النماذج التصورية، وصفها بأنها تمكن الطفل من تنظيم تجاربه النفسية والوجدانية، وتُسهم في استقراره النفسي. (Bowlby 1969)

فقد تم تطويره لهذا المفهوم (النموذج الداخلي) من خلال مراقبته لتأثير التجارب المبكرة للطفل مع مقدم الرعاية على سلوكه وتطوره النفسي، لاحظ أن الأطفال الذين تعرضوا لانفصال أو فقدان مقدم الرعاية الأساسي أظهروا أنماطًا متكررة من التفاعل العاطفي والاجتماعي تعكس نوع العلاقة التي نشأوا عليها، من خلال هذه الملاحظات والدراسات، أدرك bowlby أن الطفل لا يحتفظ فقط

بذاكرة بسيطة عن العلاقة، بل يبني تمثيلاً داخلياً وهو ما سماه "النموذج الداخلي" يتضمن توقعاته ومعتقداته حول نفسه والآخرين. هذا النموذج الداخلي يؤثر في كيفية تفسير الطفل للعالم من حوله، وكيفية تعامله مع العلاقات المستقبلية، مما يفسر اختلاف استجابته النفسية والاجتماعية حسب طبيعة تجربته المبكرة. (Bowlby 1973)

فالأطفال الذين يطورون تعلقا غير آمن غالبا ما يكونون قد تعرضوا لرعاية غير متسقة، أو غائبة، مما يؤثر بعمق في قدرتهم على الثقة و بناء علاقات مستقرة. (Bowlby 1969)

إذن فالطفل الذي لا يتم الاعتراف بحاجاته العاطفية الأساسية أو تقابل بالرفض، ينشئ تعلقا موسوما بعدم الأمان، مما قد ينتج نواة مرضية في بنيته النفسية.(Jean bergeret 1996)

- مما سبق و بالاستناد إلى المنظور السيكوديناميكي و في ظل كل هذه العوامل نحن بصدد دراسة نمط التعلق غير الآمن و الذي يؤدي إلى تأثيرات و مشكلات نفسية مستقبلية لدى الأطفال المتبنين و المكفولين منذ الولادة في الأسر البديلة.

ومنه نطرح التساؤل التالي:

كيف يسهم التعلق غير الآمن في تشكل الإضطرابات النفسية لدى الأطفال المتبنين، من خلال توظيفاته النفسية الخاصة ؟

2. الفرضية:

يؤثر نمط الرعاية و **غياب إستجابات ثابتة متكيفة لإحتياجاته العاطفية** على تطور بنيته النفسية، وتنظيمه العاطفي، وتكوين تصورات العلاقة مع الذات والآخر فيؤدي هذا الخلل في الرعاية إلى **إضطراب في بناء تصورات داخلية متماسكة**، مما يعيق عمليات التنظيم الذاتي ويؤدي إلى صراعات نفسية لاشعورية. من منظور **سيكوديناميكي**، يتجسد هذا الإختلال في مشاعر الرفض وعدم الإهتمام، وإنعدام الأمان، حيث يصبح التفاعل مع البيئة محكوماً بصراعات داخلية بين الحاجة إلى التقارب والخوف من الفقدان والإحساس بالإحباط .لأن الموضوع مصدر تلبية حاجة و تهديد في نفس الوقت.

تنعكس هذه الصراعات على تكوين صورة الذات والآخر، حيث تتشكل إدراكات غير مستقرة تعيق بناء علاقات متوازنة. يؤدي هذا التذبذب إلى **إضطراب في تنظيم العواطف وصعوبة في تحقيق إستقرار نفسي**، فمن خلال محاولة لحماية الذات من القلق الناتج عن الشعور بعدم الأمان، يتم اللجوء إلى **ميكانيزمات دفاعية أولية (بدائية)**، مما يعمّق حالة عدم الإستقرار الداخلي بدلاً من تخفيفها.

فمع مرور الوقت، يؤدي ترسخ هذه الديناميكية إلى **ضعف القدرة على ضبط الإنفعالات، وصعوبة التكيف**. هذا النمط المختل يزيد من القابلية للإصابة **بإضطرابات نفسية**، نتيجة العجز

عن تحقيق تكامل نفسي يسمح بإستيعاب التناقضات العاطفية والتعامل مع التجارب الإنفعالية بطريقة أكثر تكيفا.

3. المفاهيم الإجرائية للبحث:

1.3. التعلق غير الآمن إجرائيا:

يقصد به في هذا البحث نمط التعلق الذي يظهر لدى الطفل المتبنى خلال سلوكيات تشير إلى عدم الثقة في العلاقة مع مقدم الرعاية (الوالد البديل)، ويظهر في شكل تجنب مفرط، أو تعلق مفرط، أو تقلب في المشاعر تجاه الكبار، كما يتجلى في صعوبة طلب الدعم أو الاعتماد على الآخر. يتم الكشف عنه من خلال تحليل الرسومات (رسم العائلة، والملاحظة السريرية، والمقابلات).

2.3. الاضطرابات النفسية إجرائيا:

هي مجموعة من المؤشرات النفسية والسلوكية التي تظهر على الطفل المتبنى، وتدل على معاناة داخلية، مثل: القلق، العدوانية، الانسحاب الاجتماعي، اضطرابات المزاج، أو اضطرابات في تنظيم المشاعر وغيرها و التي تم التعرف عليها من خلال المقابلات النصف موجهة، والملاحظة المباشرة، و الاختبار النفسي وتحليل اللعب الحر.

3.3. الطفل المتبنى إجرائيا:

هو الطفل الذي تم تبنيه قانونيا من قبل أسرة بديلة مباشرة بعد ولادته، أي دون أن يعيش أي دون أن يعيش أي فترة من حياته مع والديه البيولوجيين. و في هذا البحث، يقصد بالطفل المتبنى الطفل الذي لم يكون ارتباطا مبكرا مع الأم البيولوجية، بل نشأ منذ الأيام الأولى في إطار عائلي بديل، مما يجعله عرضة لتحديات خاصة في بناء التعلق و تكوين الهوية النفسية.

4. الإطار النظري:

تعد نظرية التعلق من أبرز النظريات التي فسّرت تطور العلاقات الانفعالية المبكرة بين الطفل ومقدمي الرعاية، وقد برزت في منتصف القرن العشرين كمحاولة لفهم الأثر العميق للعلاقة الأولى على النمو النفسي والاجتماعي. جاءت النظرية لتسد ثغرة في فهم طبيعة العلاقة التي تربط الطفل بأمه أو بالشخص القائم على رعايته، مبينة أن هذه العلاقة لا تنشأ فقط بدافع الحاجات البيولوجية، وإنما تمثل حاجة نفسية أولية وأساسية، تسهم في تكوين الذات وتنظيم الانفعالات.

تبدأ جذور التعلق منذ الأشهر الأولى من حياة الطفل، حيث يظهر الميل الفطري إلى الاقتراب من شخصية معينة، عادة ما تكون الأم، والبحث عن الطمأنينة في وجودها. هذه العلاقة تصبح بمثابة "قاعدة آمنة" يعود إليها الطفل في أوقات التوتر أو التهديد، وقد كشفت الدراسات المبكرة

أن الانفصال أو الحرمان من هذا المصدر الآمن قد يترك آثارًا نفسية عميقة، تؤدي إلى اضطرابات في السلوك والارتباط لاحقًا في الحياة.

فالتعلق من منظور التحليل النفسي يندرج في أحد أبعاده، ضمن الإطار المفاهيمي لنظرية التحليل النفسي، حيث تم الاعتراف بأهمية العلاقة الأولية مع الأم بوصفها النموذج الأولي لكل العلاقات المستقبلية. غير أن التفسير التحليلي الكلاسيكي اعتبر أن هذه العلاقة تتأسس في البداية انطلاقا من الإشباع البيولوجي، مثل الرضاعة، مما يؤدي إلى تكوين رابط بين الطفل والموضوع الذي يشبع حاجاته.

لكن التوجهات اللاحقة داخل التحليل النفسي، ولا سيما المقاربات الديناميكية الحديثة، أعادت النظر في هذا الطرح، معتبرة أن الطفل لا يتعلق بمن يشبع حاجاته فقط، بل يبحث عن موضوع نفسي (object) يمنحه الأمان والتواصل، وهذا ما يفسر بقاء التعلق حتى في حالات غياب الإشباع الفعلي، فقد تبيّن أن الحرمان العاطفي، حتى مع توافر الرعاية المادية يؤدي إلى نتائج سلبية على الصعيد النفسي، مما يدعم فكرة أن التعلق هو حاجة وجدانية مستقلة عن الإشباع البيولوجي.

من جهة أخرى، فسرت النظرية التطورية التعلق بوصفه سلوكا فطريا تكيفيا، تطور لحماية الطفل وضمان بقائه. فكما أن بعض أنواع الطيور والثدييات تظهر سلوكيات تتبع تمييز للأم بعد الولادة مباشرة، فإن الإنسان أيضًا يولد مزودا بآليات سلوكية تجذب مقدم الرعاية إليه، مثل البكاء،

والابتسام، وتتبع الصوت. هذه السلوكيات تحفز استجابة مقدم الرعاية، مما يقوي الرابطة بين الطرفين.

فمن هذا المنظور، لا يعد التعلق نتاجا للتعلم أو التجربة فقط، بل يعد جزءا من البنية الوراثية للنوع البشري، يخدم وظيفة بيولوجية تتمثل في المحافظة على الحياة عبر الحفاظ على القرب من مصدر الحماية. وقد دعم هذا الاتجاه العديد من البحوث التي أظهرت أن الطفل، حتى في غياب الإشباع الفعلي، قد يظهر تفضيلًا واضحًا لشخص معين يرتبط به، وهو ما يعزز الطرح القائل بأن التعلق وظيفة نفسية–بيولوجية معقدة، تتجاوز الأبعاد السطحية للسلوك.

حيث أفضى تداخل التحليل النفسي والنظرية التطورية إلى نشوء رؤية تكاملية للتعلق، اذ ينظر إليه بوصفه حاجة نفسية، تتأسس على أرضية بيولوجية، وتتطور ضمن سياقات اجتماعية وتفاعلية. فالطفل لا يولد بورقة بيضاء، كما لا يختزل في غرائز فطرية فقط، بل يتشكل في تفاعل مستمر بين الداخل والخارج، بين البنية الوراثية والبيئة العاطفية.

وبهذا، فإن نظرية التعلق تمثل حلقة وصل بين المنهج الدينامي الذي يعنى بالتصورات الداخلية واللاشعورية، والمنهج البيولوجي التطوري الذي يركّز على الوظائف الطبيعية والتكيف مع البيئة. وقد ساهم هذا التكامل في تقديم إطار نظري غني لفهم العديد من الظواهر النفسية، خاصة فيما يتعلق بالأمراض النفسية، والاضطرابات السلوكية لدى الأطفال، وتأثير العلاقات المبكرة في تشكيل نمط الشخصية والتفاعل الاجتماعي لاحقًا. (أ.م علي عبد الرحيم 2021)

5. أسباب اختيار الموضوع :

جاء اختيار موضوع التعلق غير الآمن والاضطرابات النفسية لدى الطفل المتبنى انطلاقًا من أهمية مرحلة الطفولة المبكرة في بناء الشخصية النفسية والاجتماعية للفرد، باعتبارها المرحلة التي تتشكل فيها أنماط التعلق الأساسية. ويعد الطفل المتبنى من الفئات الخاصة التي تتعرض لتحولات نفسية عميقة ناتجة عن فقدان الأبوين البيولوجيين، واندماجه في بيئة جديدة قد لا تضمن بالضرورة إشباع حاجاته العاطفية والأمنية بشكل كاف، مما يضعه أمام خطر تطوير أنماط تعلق غير آمن وانعكاساتها المرضية لاحقًا.

كما يعكس الموضوع راهنتيه من خلال الندرة النسبية للأبحاث النفسية التي تتناول هذه الفئة في السياق المحلي، على الرغم من التحديات النفسية والسلوكية التي تواجهها مؤسسات الرعاية والأسر البديلة. وبالإضافة إلى الدافع العلمي، هناك بُعد إنساني يتمثل في السعي نحو فهم أعمق للحاجات النفسية للأطفال المتبنين و الوصول عبر هذه الدراسة إلى آليات تدخل نفسية فعالة تسهم في تحسين جودة رعايتهم النفسية والتربوية.

6. أهمية الدراسة:

يكتسي هذا البحث أهمية خاصة لكونه يدرس العلاقة الديناميكية بين التعلق غير الآمن و الإضطرابات النفسية لدى الطفل المتبنى، بإعتبارها عملية نفسية معقدة تتشكل في السنوات الأولى من الحياة، وتؤثر على التنظيم العاطفي والبناء النفسي للفرد. حيث يتجل بالتعلق غير الآمن كنتيجة لإضطراب في العلاقة مع موضوعات التعلق الأولية، مما يؤدي إلى خلل في بناء التصورات الذهنية للذات والآخر، ويُحدث حالة من عدم الإستقرار العاطفي والوجداني، قد تتفاقم لاحقًا إلى اضطرابات نفسية.

وتكمن أهمية البحث أيضا في فهم كيفية إنتقال التعلق غير الآمن من كونه مجرد تجربة إنفعالية إلى كونه عاملا ديناميكيا يشكل بنية الشخصية و يؤثر على قدرة الطفل على التكيّف النفسي. فالتجارب المبكرّة للفقدان أو الإهمال أو غياب إستجابة ثابتة لمشاعر الطفل قد تعزز من أنماط التعلّق غير المستقرة، مما يضعف القدرة على بناء علاقات آمنة ومتوازنة.

أما في ما يخص مكانة البحث، فتبرز في كونه يعزز فهم العلاقة بين التعلق المبكّر والصحة النفسية، مما يسهم في تحسين آليات الرعاية النفسية المقدمة للأطفال المتبنين. كما أن نتائجه قد تشكل إضافة نوعية في مجالات علم النفس العيادي والتنموي، من خلال تقديم رؤى تسهم في تحسين أساليب الدعم النفسي والتدخل العلاجي، سواءا في الأطر الأسرية أو المؤسساتية، و ذلك

بتوفير بيئة نفسية أكثر إستقرارا تساعد الطفل المتبنى على تحقيق توازن نفسي و إنفعالي يسمح له بالتكيف مع محيطه بشكل صحي ومستقر.

7. أهداف الدراسة:

• فهم طبيعة التعلق غير الآمن عند الطفل المتبنى وأسبابه النفسية.

• دراسة و إستكشاف أثر التعلق غير الآمن على التكيّف الإجتماعي والسلوكي للطفل المتبنى، من خلال تحليل أنماط التفاعل مع الأسرة المتبنية والمحيط الاجتماعي.

• إبراز الأبعاد السيكوديناميكية للعلاقة بين التعلق غير الآمن و الإضطرابات النفسية، بما يسمح بفهم أعمق للآليات النفسية المؤدّية إلى الإختلالات العاطفية والسلوكية لدى هذه الفئة.

• دراسة تأثير فقدان موضوعات التعلق الأولية على التنظيم العاطفي والمعرفي، وتحليل إنعكاس ذلك على تشكّل التصورات الذهنية للذات والآخر، مما قد يساهم في ترسيخ أنماط تفاعل غير متكيفة.

• توفير إطار علمي يسهم في تحسين إستراتيجيات الرعاية النفسية والتدخل العلاجي، من خلال تقديم توصيات مبنية على فهم ديناميكيات التعلق غير الآمن وتأثيراته بعيدة المدى على الصحة النفسية للطفل المتبنى.

8. صعوبات الدراسة:

واجهت الباحثة بعض الصعوبات أثناء إجراء الدراسة، من بينها صعوبة الولوج إلى مراكز الطفولة المسعفة و ذلك نظرا لطبيعة هذه المؤسسات التي تتسم بالحساسية و حرصها الكبير و التام على حماية خصوصية الأطفال المتكفل بهم. مما فرض ضرورة البدء بالدراسة في وقت محدود وبالتالي تم إعادة تعديل في عنوان الموضوع البحثي و تم التغيير من الطفل المسعف إلى المتبنى.

وإضافة إلى ذلك فقد شكل العثور على الحالات المناسبة وعدم توفرها بالعدد الكافي عائقًا، خاصة في ظل ضيق الفترة الزمنية المخصصة للبحث.

كما أن عدم توفر مكان ثابت لإجراء الدراسة أجبر الباحثة على التنقل إلى منازل الحالات للعمل معهم بدلا من إستقبالهم في إطار مؤسساتي مهيأ لهذا الغرض أي الدراسة العيادية.

هذا الأمر جعل التفاعل مع الحالات صعبا قليلا، بحيث لم يكن حضورهم نابعًا من رغبة ذاتية في الحصول على المساعدة والتكفل النفسي أو بدافع من أوليائهم، مما أثر جزئيًا ونوعا ما على ديناميكية التكفل النفسي وسير العملية البحثية.

خلاصة:

يتناول هذا الفصل الإطار العام للدراسة، من خلال عرض الإشكالية التي تنطلق منها، والأهداف المرجوة من البحث إلى جانب أهمية الموضوع. كما يسلط الضوء على الأسباب التي دفعت الباحث لاختيار هذا الموضوع، ويعرض الفصل كذلك التساؤلات والفرضيات التي توجه الدراسة، وعليه يعد هذا الفصل بمثابة الأرضية التمهيدية لفهم السياق النظري والميداني للبحث.

الفصل الثاني:

التعلق

1. الإطار المفاهيمي للتعلق
2. التعلق غير الآمن
3. أنواع التعلق غير الآمن
4. علاقة التعلق بالنماذج الداخلية و انعكاساته
5. التعلق و علاقته بالاضطرابات النفسية

تمهيد:

يعد التعلق من المفاهيم الأساسية في علم النفس، لما له من دور محوري في النمو الانفعالي والاجتماعي للطفل. فالعلاقة التي تنشأ بين الطفل ومقدم الرعاية، خاصة في السنوات الأولى، تؤثر بشكل مباشر على توازنه النفسي، ويرتبط التعلق غير الآمن غالبًا بظهور اضطرابات نفسية.

يهدف هذا الفصل إلى عرض أهم التعريفات النظرية لمفهوم التعلق وتصنيف أنواعه، مع إبراز الصلة بين أنماط التعلق غير الآمنة والاضطرابات النفسية، لا سيما في حالات الأطفال المتبنين الذين غالبًا ما تكون تجاربهم المبكرة مضطربة.

1. الإطار المفاهيمي للتعلق:

- **لغويا:** إذا رجعنا إلى الأصل اللغوي للكلمة على المعنى الذي يقصده أصل التعلق في اللغة علق يقال علق به : أي نشب به وكأنما قصدوا بقولهم تعلق أي نشوب الحب بقلب المحب حتى لا يكاد يفارقه ، يعني التمسك، والتشبث، والارتباط.

- **من منظور سيكوديناميكي:**

- (John Bowlby 1969): " التعلق هو نزعة فطرية عند الإنسان لتكوين روابط عاطفية قوية مع أفراد معينين، وخاصة مقدم الرعاية الأساسي، بهدف الحصول على الحماية والأمان، وهو ذو أهمية حيوية للبقاء والنمو النفسي السليم".

- (Mary Ainsworth 1978) " التعلق هو رابطة عاطفية دائمة تنشأ بين الطفل ومقدم الرعاية، تظهر من خلال سلوكيات مثل البحث عن القرب والضيق عند الانفصال، خاصة عند مواجهة الطفل للضغط أو الخوف".

2. التعلق غير الآمن:

على الرغم من أن التعلق ظاهرة بيولوجية وأن جميع الأطفال يولدون مزودين بالإمكانات النمائية الفطرية للتعلق و أن التعلق هو حاجة أولية, فان كون الطفل ينظم تعلق غير آمن هذا يجعله يصارع العديد من المشكلات سواءا في التعلم أو في حياته الاجتماعية أو حياته العاطفية فمن المرجح أن التعلق غير الآمن و الذي ينشئ عن خلل في العلاقة بين الطفل و الأم (تجنب , رفض , عدم تجاوب , عدائية) يظهر مشكلات سلوكية عند الطفل.

مفاهيمه :

- " يتجلّى التعلق غير الآمن لدى الطفل من خلال قلق شديد عند الانفصال، أو من خلال لامبالاة ظاهرة هذه السلوكيات تعبّر عن صراع داخلي غير محلول مع شخصية التعلق ".(Mary Ainsworth 1978)
- يعرفه (eroglu2000) أنه:" نمط التعلق المتميز بالخوف المتطرف من البعد عن الآخرين مع استخدامه لإستراتيجية معينة لإنجاز اقترابه من الآخرين ".
- يعرفه (West 2002)" *بأنه نمط من التعلق غير الآمن يتسم فيه الفرد بالقدرة على مسايرة المواقف الضاغطة والسعي إلى العناية من جانب الآخرين ولديه قلق مستمر من أن الآخرين ربما لا يحبونه، ويحبط بسهولة ويبدي مشاعر الغضب عندما يكون تعلقه في حاجة إلى الآخرين ولديه خوفا من فقد الشخص المتعلق به*". (م.مقران ، م.العواضي 2023)

3. أنماط التعلق:

إن أنماط التعلق تتشكل اعتمادا على الخبرات الباكرة في حياة الطفل وكذلك طبيعة الرعاية ومدى الاستجابة لحاجات الأبناء وأساليب المعاملة مع الطفل، كما أن أنظمة الدماغ و مناطق

الدماغ المسؤولة عن الانفعال لا تتطور بشكل سوي إلا إذا تعرض الطفل لبيئة غنية بالمثيرات الحسية وعلاقات إجتماعية آمنة خلال السنوات الأولى من حياته.

1.3. نمط التعلق غير آمن القلق:

يعيش الأطفال خبرة التعلق المتناقض ونقصد بمصطلح القلق أي عدم التأكد من الشيء، وذلك أن الأطفال تعلموا في بعض الأحيان يتم تلبية احتياجاتهم وأحيانا أخرى لا يتم تلبيتها فهم يلاحظون السلوك الذي يجعل والديهم ينتبهون إليهم ومن ثم يكررونه مرارا وتكرارا لأنهم يبحثون دائما عن الشعور بالراحة الذي يحدث في بعض الأحيان والأطفال في هذا النمط ،يكونون أكثر عرضة للمبالغة في العواطف وعرضة أكثر لمشاعر الغضب والضعف، و تصوير الأم بكونها أقل كفاءة في التخفيف للمحنة التي يمر بها الأطفال، ويمكن أن تتمثل استجابات والدي الأطفال أو مقدمي الرعاية في أن يستجيبوا للطفل أحيانا وأحيانا أخرى لا يستجيبون، وعندما يكون الطفل خائفا فإنه يتم تجاهله في بعض الأوقات وفي أوقات أخرى يتم طمأنته، أما عن سلوكيات الطفل فيتميز الأطفال ذوي النمط القلق بكونهم أكثر صلابة وغير مرنين ودائم والبكاء ويسهل إحباطهم ويرغبون أن يكونوا محور الاهتمام.(سناء التميمي.2020)

2.3. نمط التعلق غير الآمن التجنبي :

تعد العلاقات التعلقية التجنبية واحدة من مجموعة أنماط التعلق الغير آمن، فالأطفال دون ذلك النمط قد تعلموا بأن اعتمادهم على آبائهم أن فيعطى لهم الشعور بالأمان كما يبغون، لذلك قد تعلموا كيف يمكنهم أن يعتنوا بأنفسهم وكيف يحققون بذلك شعورهم بالأمان، ويفضلون تجنب الوالدان أو من يقوم برعايتهم فهم في الغالب يصبحون رافضين أو متجنبين بوضوح لمن حولهم خاصة بعد فترة انفصال أو غيره، كما أنهم لا يظهرون أي تفضيل بين الوالدين والغرباء تماما عنهم ومن المحتمل ألا يرفض هؤلاء الأطفال انتباه آبائهم ولكنهم في نفس الوقت لا يستطيعون أن يحتفظوا بالتواصل والراحة معهم. ويتصف التعلق التجنب إقرار الطفل بعدم شعوره بالارتياح لبقائه قريبا من الآخرين، ويصعب عليه الثقة بهم والاعتماد عليهم ويفضل البقاء بعيدا عن الآخرين.(المرجع السابق)

3.3. نمط التعلق الغير آمن غير المنظم:

يظهر الأطفال الافتقار إلى السلوك الواضح، و ردود أفعالهم لمن يتولون رعايتهم غالبا ما تكون مزيجا من سلوكيات عديدة تتضمن التجنب أو العناد، وأحيانا يظهرون أحد الأمرين الرفض أو العصبية (القلق و الخوف) في حضور القائمين على رعايتهم. ويحدث هذا النمط من التعلق عندما يرسل الأطفال إشارات أو رسائل تتعلق بوالديهم أو من هو قائم برعايتهم، والتي قد لا يستجيبون لها على الإطلاق أو يستجيبون لها بطرق غير مناسبة، ومعظم الأطفال يجدون صعوبة

في فهم مشاعر الأطفال الآخرين كما أنهم عند قيامهم باللعب مع الدمى فإنهم يقومون بتمثيل غير منطقي حيث تتصف أغلب مشاهدها بكونها مربكة مخيفة.(المرجع السابق)

4. علاقة التعلق بالنماذج الداخلية و انعكاساته:

في سياق فهم التأثيرات النفسية لتجارب الطفولة الأولى على التطور النفسي للأطفال، تبرز أهمية دراسة آلية التعلق وتأثيرها على الصحة النفسية، خصوصاً لدى الأطفال المتبنين الذين قد يعانون من اضطرابات نفسية وسلوكية. ومن بين المفاهيم الأساسية في نظرية التعلق التي تساعد على تفسير هذه التأثيرات، يطرح bowlby مفهوم النماذج الداخلية أو "النماذج الذهنية الداخلية" التي تعد تصورات معرفية عاطفية تتكون من تجارب الطفل المبكرة مع مقدم الرعاية.

فالنماذج الداخلية عند bowlby تمثل إطاراً ذهنياً تتشكل فيه توقعات الطفل تجاه نفسه والآخرين، وتتضمن تصوره عن مدى أمان العالم من حوله، وقدرته على الحصول على الدعم والاحتواء العاطفي. تتأثر هذه النماذج بتجارب التعلق المبكرة، فإذا كانت تجارب الطفل إيجابية ومستقرة، تتشكل نماذج داخلية آمنة تساعده على بناء علاقات صحية وتكيف نفسي أفضل. أما إذا كانت التجارب سلبية أو غير مستقرة، فإن النماذج الداخلية قد تكون غير آمنة أو مشوهة، مما يؤدي إلى صعوبات في التواصل العاطفي ويزيد من احتمال ظهور اضطرابات نفسية.

بعبارة أخرى تنشأ هذه التصورات والاستراتيجيات في ضوء التفاعلات المبكرة بين الفرد والمقربين عليه مثل الوالدين لأن عن طريق رعايتهم وحبهم وسرعة استجابتهم لحاجات الفرد يظهر **نموذج الذات**، الذي يدرك الفرد نفسه إما كشخص جدير بالحب وناجح اجتماعيا وكفى أو يدرك نفسه كشخص غير جدير بالحب وغير مرغوب به، ولا يتمتع بخصائص الجدارة والقوة ونتيجة تزايد خبرة الفرد مع الآخرين، وما يواجهه من إشباعات ونتائج أو رفض وعقوبات.

يظهر **النموذج الثاني** الذي يتمثل في **نموذج الآخرين**، الذي هو إدراك الفرد إلى الآخرين بوصفهم أفراد حساسين ومتعاطفين و مشبعين لحاجاته وداعمين له أو أنهم أفراد معاقبين و قاسيين ومهملين.

وهذا ما تطرق إليه بولبي و الذي وجد أن عيش الفرد في بيئة دافئة تظهر أن الآخرين يمكن الثقة بهم وأنهم يتسمون بالحب والحساسية وسيطورون **نماذج ذهنية** يظهر في ضوءها كفرد محبوب وجدير بالراحة والسعادة وسيشعر بالتعلق الآمن في حين إذا كان الأشخاص المقربين على الفرد رافضين والساخرين منه فإنه سيطور نموذجا ذهنيا يظهر به هؤلاء المقربين أي الآخرين كأشخاص عدائيين ولا يمكن الثقة بهم والاعتماد عليهم، وسيظهر لدى الفرد إحدى نماذج التعلق المضطربة، وبهذا فإنه وفقا لنوع التعلق تبني شخصية الفرد والعلاقات الاجتماعية وصحته النفسية وتوجهاته المستقبلية.(أ.م علي عبد الرحيم 2021)

5. التعلق و علاقته بالاضطرابات النفسية:

إن أهمية التعلق على النمو الانفعالي للفرد، وتأثيرها على توازنه النفسي، وتفاعلاته الاجتماعية طوال حياته، دفعت أتباع نظرية التعلق أمثال (PAQUETTE, 2004) إلى الجزم بأن للتعلق قيمة تنبئية، وأنه ينبئ على الأقل بأربعة أشياء أساسية:

– أن الأمهات اللواتي يستجبن لإشارات الرضيع يطورن علاقة أم – طفل آمنة.

– أن التعلق أم– طفل يكون مستقرا نسبيا إلا في حالة الأحداث الكبرى مثل الطلاق، الوفاة، أو المرض، مع التأكيد أن نوعية التعلق تبقى نفسها مع مرور الوقت.

– أن هناك تشابها بين أنماط التعلق الأمومية، وتلك الخاصة بالطفل.

– أن الأطفال الذين كانت لديهم منذ صغرهم علاقة آمنة مع الأم، يطورون في سن ما قبل التمدرس وفي سن الدراسة ،مهارات اجتماعية أفضل مقارنة بالأطفال ذوي التعلق غير الآمن.

(د.مخلوف و نايت بلعيد 2017)

و بالتالي فان هناك تأثيرات مستقبلية و سلبية على الصحة النفسية و ظهور الاضطرابات النفسية فحسب (pitte loup 2006) فيرى بالرغم من أن التعلق ليس له قيمة سيكوباثولوجية إلا

انه يبقى يلعب دورا في النظام التكيفي مع المحيط و قد يكون عاملا معجلا بالاضطرابات النفسية.(طاشمة راضية , سيب عبد الرزاق , طاشمة لطيفة -2021)

إضافة أن john bowlby "يؤكد على أن الحرمان من الأم هو أحد أسباب **الاضطرابات** التي تظهر في المراهقة و الرشد, حيث يعاني الفرد من صعوبة في التفكير المجرد بسبب سيطرة الذات و الضمير على الواقع. كما أن نمط الوالدي السلبي و الخبرات المؤلمة و البيئة السلبية و الأم التي تكثر من التأنيب, ولا تمنح الحب و الرعاية تجعل من هذه الأبناء شخصيات مضطربة و منحرفة في المستقبل فتطوير التجارب العلائقية المؤلمة و الصدمة مع مقدم الرعاية في مرحلة الطفولة و التي تعرض لها من خلال إشباع حاجته الأساسية تترجم على شكل اضطرابات نفسية في مرحلة الرشد " (bowlby 2007)

كما بينت دراسة (Ross, Willklnson 2004) " أن الأبناء الذين يتعرضون إلى الرفض و النبذ من قبل الوالدين تنشأ وتتطور لديهم العديد من المشكلات النفسية والسلوكية الخطيرة ، بما في ذلك من صعوبات في ربط علاقات انفعالية ودية مع الآخرين، و أن التعلق الوالدي يجعل الوالدين المصدر الآمن الذي يمكن من خلاله استكشاف البيئة والإحساس بالكفاءة والإجادة)". (فكري 2008)

بناءا على ذلك، تصبح دراسة النماذج الداخلية ضرورية لفهم كيفية تأثير أنماط التعلق غير الآمنة على الأطفال المتبنين، وكيف تساهم هذه النماذج في تكوين اضطرابات نفسية وسلوكية لديهم.

خلاصة:

يظهر مما سبق أن التعلق لا يُعد مجرد علاقة بين الطفل ومحيطه، بل هو أساس التنظيم النفسي والانفعالي. وعليه، فإن فهم أنماط التعلق يسهم في تفسير بعض الاضطرابات النفسية، خاصة لدى الأطفال الذين عاشوا حرمانا أو تغيرات أسرية مبكرة كحالة التبني.

الفصل الثالث:

الإجراءات المنهجية للدراسة

1. المنهج العيادي
2. دراسة الحالة
3. المقابلة
4. الملاحظة
5. الاختبار
6. مجتمع البحث

تمهيد:

تعد الإجراءات المنهجية من الركائز الأساسية في أي بحث علمي، إذ تمكن الباحث من جمع المعطيات وتحليلها وفق أسس علمية دقيقة، ويوضح هذا الفصل المنهج المعتمد في الدراسة، وأسباب اختياره، كما يحدد أدوات البحث، وعينة الدراسة، والإجراءات التي تم إتباعها لضمان تحقيق أهداف البحث.

1. المنهج العيادي:

يعد المنهج العيادي الإطار الأنسب لدراسة العلاقة بين التعلق غير الآمن و الإضطرابات النفسية لدى الطفل المتبنى، نظرًا لقدرته على تحليل البنية النفسية للفرد والكشف عن العمليات اللاشعورية التي تؤثر في تكيفه العاطفي و الإجتماعي. و إستنادًا إلى المبادئ الأساسية للتحليل النفسي وتقنياته، يركز هذا المنهج على إستكشاف الصراعات اللاشعورية، وآليات الدفاع، و تأثير التجارب الإنفعالية المبكرة على البناء النفسي للطفل. فمن خلال المقابلة العيادية، يتم إستقصاء تجارب الطفل العاطفية الأولى وإنعكاساتها على نمط تعلقه الحالي، كما يركز هذا المنهج على دراسة الحالات في سياقها الفردي والتفاعلي، مما يسمح بفهم التداخل بين التجارب المبكّرة للطفل المتبنى وتأثيرها على تكوين أنماط التعلق لديه، وما يترتب عن ذلك من إضطرابات نفسية.

يتيح هذا المنهج فهم العوامل النفسية العميقة وراء الإضطرابات، بدلًا من الإكتفاء برصد الأعراض الظاهرة ، مما يعزز من إمكانية التدخل النفسي الفعّال. كما أن إعتماده يساهم في إثراء الدراسات السيكوديناميكية حول أثر فقدان التعلق المبكر، ويفتح المجال أمام تطوير إستراتيجيات علاجية تستهدف تعزيز إعادة التشكل النفسي لدى الأطفال المتبنين، بما يضمن دعم إستقرارهم العاطفي والنفسي على المدى الطويل.

2. دراسة الحالة:

إن دراسة الحالة كتقنية أساسية يتم من خلالها التقرب بأقصى درجة ممكنة من الحقيقة العيادية والتي تبحث في مختلف المجالات: الوجدانية، المعرفية، العلائقية وكل ما يخص تاريخ الحالة، من خلال الأحداث الماضية والحاضرة التي يتعرض لها، تنظيم شخصيته وتنظيمه النفسي، آلياته الدفاعية، علاقاته مع الآخرين وأثرها على نفسيته ..إلخ ، فالربط بين كل هذه العوامل والكشف عن الديناميكية التفاعلية الداخلية هو الذي مكن من الإلمام بمختلف العوامل المتعلقة بدافعية الدراسة للتوصل إلى إجابات الإشكالية التي يتمحور عليها البحث.(رماس.2018)

لقد تم الاعتماد في هذه الدراسة على مجموعة من الوسائل التي اعتُبرت ضرورية لجمع المعلومات وتوفير معطيات دقيقة وموضوعية حول الموضوع البحثي، والذي يتمحور حول متغير نمط التعلق غير الآمن لدى الطفل المتبنى، باعتباره عاملًا مؤثرًا في تكوين الاضطرابات النفسية. يعتمد هذا المتغير على التصورات النفسية والعاطفية التي يكونها الطفل تجاه ذاته وتجاه مقدمي الرعاية، والتي تتجلى في سلوكياته اليومية وعلاقاته العائلية.

ولضمان دقة جمع البيانات وتعميق فهم هذه التصورات، تم اعتماد منهجية متعددة الوسائل تجمع بين أدوات نوعية متكاملة. فقد تم استخدام المقابلة العيادية نصف الموجهة، والتي تُعد أداة أساسية لاستكشاف الخبرات العاطفية للطفل وتجاربه الذاتية، بالإضافة إلى الكشف عن الأنماط العلائقية التي تتبلور في علاقته مع مقدمي الرعاية. غير أن الاعتماد على المقابلة وحدها لا يكفي، إذ يمكن أن تتأثر الإجابات بالميكانيزمات الدفاعية واللاشعورية، مما يفرض ضرورة إكمالها

بأدوات أخرى. لهذا السبب، تم استكمال جمع البيانات باختبار رسم العائلة، وهو اختبار إسقاطي يُمكن من الكشف عن الأبعاد اللاشعورية للتصورات النفسية، من خلال تحليل الرموز والتفاصيل التي يقدمها الطفل في رسمه للعائلة، بما يسمح بفهم أعمق لموقع مقدم الرعاية في هذه التصورات، وطبيعة التعلق الموجود. كما تم إعداد شبكة ملاحظة سلوكية تُطبق في بيئة الطفل الطبيعية، بهدف رصد سلوكيات الرعاية والتفاعل اليومي مع الوالدين.

فقد أتاحت هذه التعددية في استخدام الوسائل إمكانية تجميع بيانات شاملة ومتنوعة، تم تحليلها بشكل متكامل لتقديم صورة دقيقة ومعمقة عن تأثير نمط التعلق غير الآمن على الاضطرابات النفسية لدى الطفل المتبنى.

3. المقابلة:

المقابلة العيادية (محور الالتماس و العلاج النفسي) هي نوع من المحادثة تتم بين الآخر (المريض) والنفساني في موقف مواجهة، بقصد التعرف على مشكلات المريض، و كشف الصراعات و دلالتها. تتخذ المقابلة إذن شكل الحوار و عنصر المواجهة، بحيث تفسح المجال أمام المريض إمكانية التعبير الحر عن ذاته، و بالتالي فهم ما يعانيه من مشاكل. (فيصل عباس)

و من هذا المنطلق، وفي إطار هذه الدراسة، فقد تم الاعتماد على المقابلة العيادية النصف موجهة كأداة أساسية لاستكشاف ديناميكيات التعلق غير الآمن والاضطرابات النفسية لدى الطفل

المتبنى، نظرًا لقدرتها على كشف التصورات الذهنية، والصراعات الداخلية، والآليات الدفاعية التي يعتمدها الطفل في تفاعله مع بيئته.

اعتمدتُ كذلك على تحليل مضمون السرد العاطفي لكل طفل، حيث لاحظتُ كيف تعكس لغتهم وأساليب تعبيرهم عن مشاعرهم و أنماط التعلق التي طوروها. كما كنتُ حريصة على مراقبة ظهور الآليات الدفاعية ، والتي قد تكشف عن صراعات داخلية مرتبطة بالتجارب المبكرة غير المستقرة.

ونظرًا لاختلاف مستويات النضج العاطفي بين الحالات التي درستُها، تطلب مني الأمر ضبط إيقاع المقابلة وفقًا لقدرة كل طفل على التعبير، حيث اعتمدتُ أحيانًا على اللعب أو الرسم كوسائل بديلة للكشف عن مشاعرهم بطريقة غير مباشرة. كانت هذه المقابلات تجربة غنية، سمحت لي ليس فقط بجمع معطيات نوعية دقيقة، بل أيضًا بفهم الأبعاد اللاواعية التي تحكم علاقة الطفل المتبنى بذاته وبالآخرين، وهو ما منحني رؤية أكثر عمقًا حول العلاقة بين التعلق غير الآمن والاضطرابات النفسية في سياق التبني.

_ أما عن عدد المقابلات فلقد تم إجراء خمس مقابلات مدة كل منها تتراوح بين 40 د إلى 45 د لكل حالة. كما تم إجراء مقابلتين للوالدين مدة كل منهما 30 د إلا أنه نظرا لوجود مقدم

رعاية واحد فقط (الأم فقط) متكفلة بالطفل في كلتي الحالتين و عدم وجود الأب تم إجراء المقابلات معها فقط.

- بالاعتماد أيضا على **دليل المقابلات** مكون من مجموعة من المحاور التي تساعد في فهم تجربة الطفل العاطفية، وعلاقاته، وتصوراته حول الذات والآخرين تمثلت :

1. تاريخ الحالة:

والتي تم من خلالها التقصي عن كل المؤشرات النفسية و الاجتماعية التي لها دلالة نفسية ترتبط بالحقيقة النفسية الداخلية للطفل.

2. **نمط التعلق:**

تم التطرق فيه إلى العلاقات التي يبنيها الطفل مع الأشخاص القريبين منه، من خلال سؤاله عن من يلجأ إليهم عند شعوره بالخوف أو الحزن. الهدف كان تحديد نمط التعلق الذي يطوره الطفل بعد تجربة التبني، وفهم مدى شعوره بالأمان العاطفي في علاقاته الحالية، ومدى اعتماده على البيئة الحاضنة له.

3. **الرعاية:**

تم استكشاف علاقات الطفل داخل أسرته الجديدة، مع التركيز على تفاعلاته مع الأم الحاضنة وأفراد الأسرة الآخرين، ومدى شعوره بالأمان والدعم في المنزل. كما أجريت مقابلة نصف موجهة مع الأم لجمع معطيات عن تاريخ الحالة، أساليب الرعاية، ونظرتها تجاه تلبية الاحتياجات الوجدانية للطفل.

4. **استثمار الموضوع:**

يركز على طبيعة توظيف الطفل للعلاقة العاطفية مع الآخر(خاصة مقدم الرعاية البديل)، و يكشف نمط التعلق من خلال نوعية الاستثمار، فقد يكون ليبيديا عاطفيا (الحب أو الكره) يعكس رغبة في التقرب أو عدوانيا يشير إلى صراع داخلي و دفاع ضد الإحباط.

5. **تصورات الذات والآخر:**

تم تناول تصور الطفل لذاته وللآخرين، من خلال أسئلة حول شعوره بالقيمة الذاتية، وكيف يرى الأشخاص المحيطين به (داعمون أم مصدر تهديد). كما لوحظت صعوبات في استخدام ضمير "أنا"، مما يعكس تذبذبًا في بناء الهوية الذاتية نتيجة لتجربة الانفصال والتبني.

6. **الصراع النفسي:**

ظهر الصراع النفسي من خلال صعوبة الطفل في التعبير عن مشاعره وتنظيمها، خاصة في مواقف الفرح، الحزن و الغضب و الخوف ، كما عكست بعض الأجوبة والتصرفات وجود

اضطرابات وجدانية قد تكون مرتبطة بمشكلات التعلق، مما يشير إلى صراع داخلي بين الحاجة للأمان والخوف من الفقد.

- أما فيما يخص **المقابلات مع الوالدين** فقد تم وضع **دليل مقابلة** تمحور كالتالي:

1. **أساليب الرعاية:**

يركز هذا المحور على تحليل الأنماط التربوية وسلوكات الرعاية التي تعتمدها الأم الحاضنة في تعاملها اليومي مع الطفل ومدى ما توفره له من دعم و حماية... بما يسمح بتكوين قاعدة آمنة أو العكس.

2. **الجانب العلائقي و استثمار الطفل:**

يركز هذا المحور على طبيعة العلاقة أم–طفل من حيث الكيفية التي تبنى بها الروابط العاطفية. و ما اذا كانت الأم تستثمر فعليا في علاقتها مع الطفل كموضوع نفسي قائم بحد ذاته.

4. الملاحظة:

تعد الملاحظة من أهم أدوات جمع البيانات في البحث العلمي، حيث تمكن الباحث من متابعة الظواهر أو السلوكيات في بيئتها الطبيعية بشكل مباشر و منهجي. وتعتمد الملاحظة على الانتباه

الدقيق لتفاصيل هذه السلوكات أو التفاعلات دون تدخل مفرط من الباحث، مما يجعلها مناسبة لفهم الظواهر النفسية و الاجتماعية في سياقها الحقيقي.

1.4. الملاحظة للحالات:

تم بناء هذه الشبكة الميدانية للملاحظة في سياق دراسة كيفية تهدف إلى تتبع أثر نمط الرعاية غير المتكيف على البنية النفسية الداخلية للطفل المتبنى، من خلال ملاحظة سلوكه وتفاعله داخل بيئته الطبيعية. وقد تم اعتماد المحاور المشتقة من دليل المقابلة، لتوجيه عملية الملاحظة وربطها بالفرضية ذات الطابع السيكوديناميكي وهي كالتالي:

- **نمط علاقة الطفل بمقدم الرعاية :**

يركز على مدى الأمان و الارتباط العاطفي بين الطفل و مقدم الرعاية، كما يعنى هذا المحور بكيفية استجابة مقدم الرعاية لاحتياجات الطفل العاطفية و الجسدية، و مدى شعور الطفل بالثقة و الراحة في تواجده معه. العلاقة الجيدة، التفاعل المستمر، و القدرة على تهدئة الطفل عند القلق.

العناصر:

- طبيعة التقارب الجسدي والانفعالي.
- ردود الفعل تجاه الانفصال أو الغياب.
- التفاعل في حضور الأم.

مؤشرات الملاحظة:

- ✓ يسجل تكرار التجنب أو التصلب الانفعالي عند محاولة الأم التقرب.
- ✓ يلاحظ الصمت أو القلق عند الحديث في وجود الأم.
- ✓ تسجيل الخوف من رد الفعل عند الإجابة على الأسئلة.
- ✓ غياب التعبير العاطفي المباشر تجاه الأم، مما قد يعكس تجربة رعاية يشوبها التهديد أو التناقض.

- **<u>نمط التفاعل الاجتماعي والانفعالي</u>:**

يهدف إلى ملاحظة مدى قدرة الطفل على المبادرة بالتواصل، ومدى اتساع علاقاته الاجتماعية، وفهمه لانفعالات الآخرين، مما يعكس مستوى التنظيم العاطفي والقدرة على الانفتاح التفاعلي.

العناصر:

- ➢ المبادرة في التفاعل مع المحيط.
- ➢ طبيعة العلاقات الاجتماعية.
- ➢ القدرة على تفسير مشاعر الآخرين.

مؤشرات الملاحظة:

- ✓يسجل غياب الأصدقاء أو العلاقات المستقرة.
- ✓يلاحظ ضعف في المبادرة الاجتماعية أو الانسحاب من التفاعل.

- ✓ تسجيل قصور في تفسير انفعالات الأم أو الأشخاص المحيطين.

- **تصور الذات والهوية:**

يركز على كيفية إدراك الطفل لنفسه، طريقة حديثه عن ذاته،

ومدى تماسك صورته الداخلية، وهو ما يعكس درجة بناء الهوية والوعي بالذات.

العناصر:

- ➢ استخدام اللغة الذاتية.
- ➢ إدراك الطفل لذاته.
- ➢ صورة الطفل داخل البنية العائلية.

مؤشرات الملاحظة:

- ✓ تسجيل غياب ضمير "أنا" في الحديث عن النفس، مما قد يدل على تذبذب في تمثل الذات.
- ✓ يلاحظ التردد أو الغموض في تحديد موقعه ضمن العائلة.
- ✓ يسجل تفادي الحديث عن الصفات الشخصية أو التجارب الذاتية.

2.4. الملاحظة الخاصة بالوالدين:

تم بناء شبكة ملاحظة موجهة لفهم نمط علاقة أم طفل، وسلوكيات الرعاية والتفاعل اليومي.

واشتملت على ثلاثة محاور أساسية، وهي كالتالي:

- **العلاقة بين الأم والطفل:**

يُعنى هذا المحور برصد نمط العلاقة العاطفية والانفعالية بين الأم والطفل، من خلال تحليل أسلوب التواصل، تعبيرات المودة أو التباعد، واستجابات الأم لحاجات الطفل النفسية.

العناصر:

- أسلوب تواصل الأم مع الطفل (نبرة الصوت، شكل الخطاب: أوامر، توجيهات، حوار).
- توفر التواصل العاطفي (عناق، نظرات، تعبير لفظي عن المشاعر).
- استجابة الأم للحاجات الانفعالية والنفسية للطفل.

مؤشرات الملاحظة:

- ✓ تسجيل نبرة صوت الأم (متسلطة، متوترة، هادئة).
- ✓ رصد نوع الخطاب السائد (توجيه، حوار، أوامر متكررة).
- ✓ تسجيل حالات التجنب أو الانسحاب العاطفي من قبل الطفل أو الأم.
- ✓ ملاحظة استجابات الأم لحالات توتر الطفل أو طلباته النفسية (تفهّم، تجاهل، رفض).

- **سلوكيات الرعاية اليومية :**

يركز هذا المحور على تتبع مدى تلبية الأم للاحتياجات الأساسية للطفل، وكيفية تنظيمها لحياته اليومية، مع ملاحظة أنماط الرعاية سواء كانت داعمة أو مهملة أو تسلطية.

العناصر:

- متابعة اهتمام الأم بالحاجات الأساسية للطفل (التغذية، النظافة، الراحة)
- تنظيم الأنشطة اليومية.
- وجود مظاهر إهمال أو تسلط في تعامل الأم مع الطفل.

مؤشرات الملاحظة:

- ✓ تسجيل انتظام وفعالية تغذية الطفل ورعايته الصحية.
- ✓ ملاحظة جودة النظافة الشخصية للطفل ومستوى راحته.
- ✓ رصد تنظيم وقت الطفل (نوم، لعب، دراسة)
- ✓ تسجيل مواقف إهمال (تجاهل طلبات الطفل، عدم متابعة حاجاته)
- ✓ ملاحظة سلوكيات تسلطية (أوامر قاسية، تحكم مفرط، انتقادات متكررة).

- **مشاركة الأم في عالم الطفل وتفاعله مع محيطه:**

يهتم هذا المحور بملاحظة مدى انخراط الأم في حياة الطفل النفسية واليومية، وتفاعلها مع مشاعره وتجاربه، بما يعكس قدرتها على توفير بيئة نفسية داعمة وآمنة.

العناصر:

- انخراط الأم في نشاطات الطفل اليومية (اللعب، الحديث، الاستفسار عن يومه)
- اهتمام الأم بخبرات الطفل النفسية والانفعالية.

- تفاعل الأم مع مشاعر الطفل وحاجاته غير المعلنة.

مؤشرات الملاحظة:

- ✓ ملاحظة نوعية الحوار بين الأم والطفل (مفتوح، محدود، متقطع)
- ✓ رصد اهتمام الأم بمشاعر الطفل خلال الحوار (تفهّم، تهوين، تجاهل)
- ✓ تسجيل مواقف عدم تفاعل الأم مع انفعالات الطفل أو سلوكياته.
- ✓ ملاحظة وجود غياب دعم نفسي أو عاطفي في تفاعلات الأم مع الطفل.

5. اختبار رسم العائلة :

التعريف بالاختبار و سبب اختياره:

" اختبار رسم العائلة هو تقنية اسقاطية غير لفظية تهدف الى تقييم تصورات الطفل لعلاقاته الأسرية، من خلال التعبير الرمزي في الرسم. يطلب من الطفل رسم عائلته، و يتم تحليل الرسم اعتمادا على شبكة تصنيف دقيقة تشمل الأبعاد (الانفعالية، المعرفية،العلائقية). (jourdan–)

lonescu,C & lachance,J 2000

لذلك تم اختيار اختبار رسم العائلة في هذا البحث لأنه يوفر وسيلة إسقاطية لفهم طبيعة العلاقات داخل الأسرة كما يراها الطفل، خاصة في ظل التعلق غير الآمن. ما يساهم في تحليل

و تقييم مفهوم الذات و ما مدى إدراكه لانتمائه الأسري، وكيفية تمثيله لعلاقاته داخل الأسرة البديلة و تفسير تأثير العلاقة مع الأم بالتحديد على توازنه العاطفي ونمط تعلقه و الكشف عن الصراعات العاطفية اللاشعورية لدى الطفل.

تم تطبيق اختبار رسم العائلة في الحصة الخامسة بعد المقابلات العيادية مع الحالات في ظروف جد ملائمة ومريحة فبعد تلقي التعليم أبدي قبولا ورغبة وبدأ مباشرة في الرسم الذي استغرق فيه مدة 15 دقيقة فقط وقد كان جد مرتاحا ومسرورا و متحمسا. ثم بوشر ذلك عن طريق تعليمة مقدمة للطفل حيث يطلب من الطفل بطريقة بسيطة ومريحة: "أريدك أن ترسم عائلة ".

- أما فيما يخص **تحليل النتائج** عن طريق جميع التقنيات و الاستراتجيات الخاصة بالاختبار تم تركيزنا على مؤشرين مهمين يتمثلان في:
  - الجانب العلائقي
  - الجانب الاسقاطي

6. مجتمع البحث:

تم إختيار الحالة قصديا و بناءًا على معايير نوعية، شملت طفلين متبنين منذ الولادة ذكر وأنثى يبلغان من العمر 08 سنوات، تم اختيار هذان الطفلان بعد إجراء مقابلات تشخيصية،

توضح من خلالها وجود مؤشرات لتوظيفات حدية و اضطرابات سلوكية تطغى على التوظيف النفسي للطفلين.

خلاصة :

تسمح هذه الإجراءات المنهجية بتأطير الدراسة ضمن مسار علمي منظم، يضمن مصداقية النتائج وموضوعية التحليل. كما تُشكل خطوة أساسية لفهم السياق الذي أُنجز فيه البحث، تمهيدًا لعرض النتائج ومناقشتها في الفصول اللاحقة.

الفصل الرابع

عرض و مناقشة نتائج الدراسة

I. الدراسة الأساسية

1. نتائج المقابلات
2. تقديم الحالة الأولى
3. تشخيص الحالة الأولى
4. تقديم الحالة الثانية
5. تشخيص الحالة الثانية
6. المقابلات مع الوالدين

II. مناقشة نتائج الدراسة

1. مناقشة النتائج على ضوء الفرضية، الإطار النظري، الدراسات السابقة
2. الاستنتاج

تمهيد:

يهدف هذا الفصل إلى عرض نتائج الدراسة الميدانية و تحليلها بناءا على ما تم جمعه من بيانات عبر المقابلات و اختبار رسم العائلة. مع التركيز على الجوانب العلائقى و الاسقاطية و محاولة ربطها بالإطار النظري المعتمد في البحث.

I. الدراسة الأساسية:

- **حدود الدراسة:**

هي الجوانب التي تقيد نطاق البحث، و تشير إلى ما لم يشمله الباحث من حيث المحتوى، الزمان، المكان، و هي ضرورية لتحديد مجال الدراسة بدقة و تفادي التعميم الخاطئ للنتائج.

- **الحدود الزمانية:**

دامت دراستنا مدة شهرين تقريبا فبداية الدراسة كانت منذ فيفري إلى غاية نهاية مارس و ذلك من خلال تحديد حالات البحث و دراستها و تطبيق تقنيات البحث عليها للوصول إلى نتائج نهائية.

- **الحدود المكانية:**

تم إجراء دراسة الحالات وتطبيق تقنيات البحث في الوسط و البيئة الأسرية الخاصة بكل حالة (منزل الحالة) مع مراعاة السرية التامة حول موضوع التكفل والتبني كون الأم البديلة لم تصرح للطفل المتكفل به بعد بأنه ليس ابنها الحقيقي وأنه متبنى.

1. نتائج المقابلات :

1.1. تقديم الحالة الأولى :

الحالة " ر" طفل ذكر يبلغ من العمر 08 سنوات، ينتمي إلى أسرة بديلة مكونة من أم حاضنة فقط منذ ، و هو الوحيد في الترتيب العائلي، تم تبني الطفل منذ ولادته، حيث تكفلت به والدته بالتبني بعد وفاة زوجها مباشرة، مستواه الدراسي السنة الثالثة من التعليم الابتدائي أما تحصيله الدراسي فوق المتوسط، ذو قامة متوسطة وبنية نحيفة، بشرته سمراء وشعره أسود قصير. يتميز بشخصية هادئة نوعًا ما يمشي بطريقة ثابتة و منظمة، لكنه متردد في الحديث، يسكن عند الإجابة عن بعض الأسئلة كما يظهر اهتمامًا خاصًا بالرسم، حيث يفضل رسم شخصيات خيالية مثل الرجل الآلي، الذي يبدو وكأنه يحمل دلالة عاطفية خاصة لديه، يتمتع بذاكرة قوية، إذ أن عملية الحفظ لديه قوية و متمسك بالجانب الديني يحفظ آيات قرآنية ويؤدي الصلوات في المسجد، لكنه يظهر سلوكيات انعزالية أحيانًا ويميل إلى الانسحاب عند الشعور بالغضب. صرحت الأم بمعلومات إضافية حول تاريخه مرضي فلا يوجد أي أمراض مزمنة أو ما شابه ذلك أما فيما يخص العناية التربوية شخصيا فقد كانت ترافقه ليلا و نهارا أما بشأن مراحل النمو فقد كانت طبيعية حيث تم ظهور الأسنان في ستة أشهر و الاستقلالية في سن السنة و نصف و قد كان يعاني من تأخر في النطق حتى سن أربع سنوات.

خلال اللقاء الأول، بدا متحفظًا في البداية لكنه استجاب تدريجيًا عند توجيه الأسئلة حول اهتماماته، يتميز بسلوك انعزالي في بعض المواقف، كما كان يُظهر لحظات من الفرح ممزوجة بالتردد، حيث بدا مهتمًا بمعرفة من تكون الباحثة وطرح أسئلة متكررة حول اسمها وهويتها.

1.1.1. تحليل المقابلات

بعد القيام بما يعادل خمس مقابلات مع الحالة مدة كل منها 40 د و استنادا و عملا بدليل المقابلة تم عرض و **تحليل النتائج التالية:**

1. <u>نمط التعلق:</u>

يتضح من إجابات الطفل وجود ضعف بين في العلاقة العاطفية بينه وبين والدته (أم–طفل)، حيث عبر صراحة عن غياب مشاعر الاشتياق أو الحب تجاهها، كما أشار إلى غياب التفاعل الجسدي الإيجابي مثل العناق، ما يدل على قطيعة عاطفية تعيق تشكل تعلق آمن.

فقد قال: "لا، خطراتش نتوحشها" و "منبغيهاش"، وهي تصريحات تنم عن قطيعة وجدانية ونمط تعلق تجنبي.

من خلال الملاحظة السريرية، لوحظ الانسحاب الانفعالي عند ذكر الأم، والقلق الواضح في نبرة الصوت وتعبيرات الوجه عندما وُجّهت له أسئلة عن علاقته بها، مما يؤكد وجود علاقة مشحونة

بالتهديد والانكشاف العاطفي، وهو ما دفعه لتبني آليات دفاعية مثل الإنكار والتجنب لحماية نفسه من الجرح النفسي المتكرر.

هذا النمط يتقاطع مع ما وصفته (Marry ainsworth 1962) في التعلق غير الآمن من النوع التجنبي، حيث يُظهر الطفل لا مبالاة ظاهرية، تُخفي خلفها شعورًا داخليًا بالخذلان وعدم الاستحقاق العاطفي.

2. الرعاية:

الرعاية المقدمة من الأم تظهر قاصرة، يغلب عليها الطابع العقابي والرافض، حسب رواية الطفل: " دائما تزعف مني وأنا مندير والو، تعاقبني وتضربني."

الملاحظة السريرية أظهرت أن الطفل يتحدث عن الأم بلغة مشحونة بالخوف والغضب المكتوم، ويتجنب النظر المباشر حين يسأل عنها، ما يدل على تجارب رعاية غير مستقرة اتسمت بالتهديد العاطفي.

لوحظ أيضًا غياب اللعب المشترك وانعدام أي سرد لتجارب عاطفية معها، ما يعكس عدم توفر الاحتواء والدفء الضروريين لبناء قاعدة آمنة.

ويلاحظ أن الطفل لا يستدعي أمه كملاذ آمن في سردياته، بل يشير إلى خاله أو أصدقائه، وهو ما يعكس فشلاً في أداء الأم لدورها الحاضن (Holding Environment) حسب تصور (Winnicott 1966)

3. استثمار الموضوع:

يظهر الطفل ضعفًا في استثمار شخصية الأم كموضوع داخلي، حيث تغيب الارتباطات الإيجابية وتستبدل بشخصيات بديلة أكثر أمانًا ، مثل الخال (الذي "يأخذه إلى الفيرمة")، أو صديقه "علي" مع محدودية في الاستثمارات العلائقية مع الآخرين. إلا أن ما يثير الانتباه هو النمط العدواني في الاستثمار، إذ تمثل الأم موضوعًا مهددًا، قاسيًا، وغير حامٍ في خطاب الطفل. يوظف تصورات تظهرها كمصدر للعقوبة وليس الحماية، ما يشير إلى استثمار عدواني يعكس مشاعر غضب مكبوتة.

ظهر ذلك أيضًا في طريقة حديثه عند ذكر الأم، إضافة إلى تعبيراته الجسدية المشحونة بالانزعاج والانكماش.

4. تصورات الذات والآخر:

تصور الطفل لذاته يبدو مضطربًا ومجزءًا، يتأرجح بين صورة ذات ضحية "أنا مندير والو" وصورة مثالية خيالية مستمدة من أبطال خارقين أو تصورات بطولية، ما يعكس استخدامًا قويًا لآلية التحويل كوسيلة دفاع ضد شعور داخلي بعدم القيمة.

كما يلاحظ غياب استخدام ضمير "أنا" في كثير من التعبيرات، مما يشير إلى تذبذب في تمثّل الذات واضطراب في الهوية.

من الناحية السريرية، لم يبد الطفل وضوحًا في تحديد موقعه ضمن العائلة أو في علاقاته، وهو ما يدل على هوية غير مستقرة وتمثل ذاتي هش.

أما تصوره للآخر، وخصوصًا الأم، فيتسم بالتهديد والخطر، ما يعكس تصورات مشوهة لعلاقة "الذات–الموضوع".

دلالة وجود خلل في إدراك الذات و تصدع في الهوية، مع ظهور الارتباك والقلق عند الحديث عن الأم يظهر أنه لا يستثمر والدته كموضوع ليبيدي، كون الهوية متصدعة فإنه يبحث عن نماذج تقمصية ذكورية في أصدقائه وذلك راجع إلى أن غياب الصورة الوالدية الثابتة والآمنة واضطراب العلاقة مع الأم، التي تستثمر ضمن نمط عدواني هو سبب التصدع وعدم بناء قاعدة الهوية، غير أن غياب صورة أبوية ثابتة مستقرة وآمنة يجعل وجود الخال غير كافي للحماية من الاستثمارات العلائقية الغير آمنة من طرف الأم.

5. الصراع النفسي:

الطفل يعيش صراعًا نفسيًا عميقًا يتمثل في رغبته بالاقتراب من الأم والارتباط بها، مقابل خوفه الشديد من الجرح العاطفي وإعادة تجربة الإهمال أو العقاب.

هذا الصراع يظهر في تقلبه بين إنكار حاجته للأم وبين تمجيد الشخصيات البديلة التي تلعب أدوارًا تعويضية.

مثالية متضخمة للرجل الآلي أو الخال. و هذا ما وضحه في قوله: "الرجل الآلي قوي ،عنده دراع طويل و سيف "، ويرسمه بشكل ضخم وقوي، ثم يتحدث عن انتقاله للعيش مع الخال أو مع الأبطال و كونه بطل و ما توضح أيضا في ملاحظاته لسلوكياته الحماسية و الانغماس في الدور أثناء الانتقال للخيال. هذا التأرجح بين الواقع والخيال يعبّر عن ظهور واضح لآلية الدفاع الانشطار لفصل التجربة المؤلمة عن التصورات المثالية، ما يعكس انقسامًا داخليًا وهذا يتوافق مع ما وصفته (Melanie klein 1946) في تناولها لمصطلح الانشطار و هنا الطفل يعيشه و يتأرجح بين عالمين حقيقي محبط و الثاني خيالي يعيشه كما يعيش الواقع.

- **المقابلات بين مقدم الرعاية (الأم) و الحالة الأولى:**

بعد مقارنة ما صرّحت به الأم في مقابلتها مع ما عبّر عنه الطفل، يمكن ملاحظة تباينات وتقاطعات في وجهات النظر حول طبيعة العلاقة الأسرية، والتعلق العاطفي، والسلوكيات، والانفعالات، وطريقة التفاعل مع الآخرين.

هناك تباين واضح بين تصور الأم لعلاقة التعلق مع الطفل وبين ما يشعر به الطفل فعليًا.الأم ترى أن الطفل متعلق بها بشدة، بينما الطفل يرى أن العلاقة يطغى عليها الغضب والمراقبة والعقاب.و هذا يشير إلى نمط تعلق غير آمن، حيث لا يشعر الطفل بالراحة العاطفية في علاقته مع أمه، بل يراها مصدر تهديد أو تقييم مستمر. كما أن الطفل لديه مشاعر قوية لكنه يجد صعوبة

في التعبير عنها بشكل صحي، إذ يلجأ إلى الخيال والرمزية في رسوماته (الرجل الآلي كرمز للحماية والقوة) وتعبيره عن مشاعر الغضب والخوف من خلال الرسم يعكس صراعًا داخليًا بين حاجته للحب والأمان، وشعوره بالخضوع أو القلق الدائم من الأم.

قد يكون عدم تقبله للعناق أو اللمس العاطفي ناتجًا عن تجربة مبكرة لم تمنحه الإحساس الكافي بالأمان العاطفي.

غياب التواصل الجسدي الكافي في الطفولة المبكرة قد يكون أثر على شعور الطفل بالأمان العاطفي، مما يجعله يفضل الشخصيات الذكورية التي يراها أكثر قوة وحماية (مثل الخال والرجل الآلي).

نمط الرعاية الذي ركز على الاستقلالية المبكرة قد يكون جعله يواجه صعوبة في تطوير علاقة عاطفية مع والدته، مما انعكس على مشاعره السلبية تجاهها كما أن الحالة يفضل وجوده مع خاله لأنه يشعر معه بالأمان أكثر من أمه، وهذا قد يكون مرتبطًا بطريقة تعامل الأم معه ، والتي قد تتسم بالصرامة أو النقد المستمر.

2.1.1. تحليل اختبار رسم العائلة:

تم التحليل التركيز على المؤشرين العلائقي والإسقاطي:

- **المؤشر العلائقي:**

✓ نلاحظ تموضع الخال في مركز الرسم، بين الطفل ووالدته، ما يعكس تحولًا في مركز التعلق الأساسي نحو شخصية بديلة عن الأم.

✓ غياب التلامس أو القرب الجسدي بين الطفل ووالدته يوحي بضعف العلاقة الوجدانية، وانعدام مشاعر الحماية أو الحميمية.

✓ الشخصيات مرسومة بشكل منفصل دون علامات انسجام أو تواصل بصري، ما يعزز فكرة التفكك الأسري العاطفي.

✓ هذه التصورات تعكس نمط تعلق غير آمن من النوع التجنبي، حيث يتفادى الطفل العلاقة مع أمه ويلجأ إلى شخصية أخرى أكثر أمانًا الخال.

- **المؤشر الإسقاطي:**

✓ إعطاء الأيدي فقط لنفسه دون الآخرين يوحي برغبة في السيطرة أو الشعور بالأفضلية، أو ربما محاولة لإثبات الوجود في محيط لا يشعر فيه بالاعتراف الكافي.

✓ ملامح الوجوه غامضة أو باهتة، ما يشير إلى صعوبة في التعبير العاطفي أو رغبة لا شعورية في محو أثر الآخر.

✓ الضغط الخفيف على القلم يمكن أن يعكس الحذر أو الافتقار إلى الثقة بالنفس، ويدل أيضا على تجنب التعبير العاطفي المباشر.

✓ عدم استخدام ألوان زاهية جدا قد يعكس عدم الارتياح العاطفي.(أنظر الملحق رقم 01)

6.1.1. التشخيص:

- التشخيص التصنيفي :

الطفل يعاني من توظيفات حدّية واضحة تتجلى في:

1. الاضطراب في الهوية و تصورات الذات:

- صعوبة في بناء صورة متماسكة عن الذات.
- تناقض في السلوك وتصورات الذات.

6. العلاقات غير المستقرة مع الآخرين:

- تقلب في مشاعره تجاه نفس الشخص.
- صعوبة في الحفاظ على الصداقات أو العلاقات(المحدودية في الصداقة و العلاقات)

7. اضطرابات في التعبير الانفعالي:

- حساسية مفرطة للرفض أو الهجر، حتى لو كان تخيليًا حيث ظهر ذلك في التأويلات التي يتباناها و الخاصة بالأم على أنها غاضبة منه و تفسيره لتعبيرات و إيماءات وجه الأم بطريقة خاطئة نحوه.
- تقلبات مزاجية غير مفهومة ظهر ذلك بين طلبه للعب و رفضه له بعد ذلك .

8. ميكانيزمات دفاعية نفسية أولية :

- استخدام آليات دفاعية بدائية مثل: الإسقاط،الانشطار، التعويض.

9. اضطراب العلاقة بالواقع أحيانًا (لكن دون فقدانه تمامًا)

- يمكن أن يظهر تشوشًا مؤقتًا في التفكير ظهر جليا في انتقاله من موضوع إلى آخر.

- يتحدث الطفل بلغة رمزية أو خيالية بشكل مفرط (إفراط في التخيّل، أو خطاب غير متماسك لحظيًا).

2.1. تقديم الحالة الثانية:

الحالة (أ) طفلة تبلغ من العمر 08 سنوات، تنتمي إلى أسرة بديلة مكونة من أم حاضنة فقط. وهي الوحيدة في الترتيب العائلي، تم تبنيها منذ الولادة، مستواها الدراسي السنة الثالثة ابتدائي و تحصيلها الدراسي في المتوسط، ذات قامة متوسطة وبنية متوسطة، بشرتها حنطية وشعرها بني مموج نظيفة المظهر غير منظمة الهندام خارج الإطار الدراسي . تتميز بكثرة الحركة والانفعالات القوية، حيث تتحدث بصوت مرتفع و تعبر عن مشاعرها بطريقة مباشرة وصاخبة. تبدي ميولًا عدوانيا تجاه الآخرين، كما تم تقديم معلومات إضافية حول الطفلة مقدمة من طرف الأم الحاضنة، حيث صرحت كون الرضاعة لم تكن طبيعية وفيما يخص تاريخها المرضي فقد نفت وجود أي سوابق مرضية للطفلة و العناية التربوية كانت شخصية ترافقها ليلا و نهارا، أما بشأن مراحل نموها كانت طبيعية ظهور الأسنان في ثمان أشهر الاستقلالية في سن السنة و نصف و التأتأة و صعوبات في النطق مع مشكلات في مخارج الحروف تظهر نوبات غضب متكررة منذ صغرها، مما جعل والدتها تتبع أسلوب العقاب الجسدي أحيانًا للحد من تصرفاتها العدوانية. كانت كثيرة الحركة منذ الطفولة، وتظهر مقاومة واضحة للقواعد، على الرغم من حبها لوالدتها، إلا أنها تشعر

أحيانًا بأن العقاب الذي تتعرض له غير عادل، مما يجعلها تتصرف بعدوانية تجاه الآخرين، سواء زميلاتها في المدرسة أو أفراد أسرتها. تتميز بقدرة لغوية جيدة، لكنها تستخدم ألفاظًا غير لائقة عند الغضب، ما يعكس اضطرابًا في التحكم في الانفعالات.

خلال اللقاء الأول، بدت الطفلة نشيطة جدًا، كثيرة الكلام و الحركة مع بعض العفوية في تصرفاتها.

1.2.1. **المؤشرات النفسية و الاجتماعية:**

بعد التعرف على الحالة الثانية بوشرت المقابلة بحضور الأم، حيث تم توجيه مجموعة من الأسئلة لاستكشاف طبيعة العلاقة الوالدية والتعلق العاطفي وأثرها على سلوك الطفلة بناءا على دليل المقابلة:

1. نمط التعلق:

يتّضح من خلال خطاب الطفلة وملاحظات سلوكها أثناء المقابلة أن نمط التعلق لديها يتسم بعدم التنظيم، ويأخذ طابعًا متذبذبًا بين الرفض والاحتياج، وهو ما يعكس تعلقًا غير آمن. فقد صرّحت بقولها: "نكرهها ونبكي"، ما يكشف صراعًا داخليًا حادًا بين مشاعر متناقضة تجاه الأم. هذا التناقض يشير إلى غياب الاتساق الانفعالي، وانعدام الثقة في مصدر الرعاية الأساسي.

ويمكن تفسير هذا النمط انطلاقًا من تصنيفات " (Main & Solomon, 1990) " حول التعلق غير المنظم، حيث يظهر الطفل أو الطفلة سلوكيات ارتباك في التفاعل مع الأم، ويعبّر عن مشاعر متعارضة دون قدرة على الدمج.

كما أن غياب اللجوء للأم كمصدر أمان، وتفضيل العزلة أو التعبير الانفعالي الفجائي، يشير إلى فشل في تحقيق قاعدة الأمان الأساسية، ما يعكس تعلقًا مهددًا.

2. الرعاية:

أظهرت الطفلة خلال المقابلة خطابًا مليئًا بالإحساس بالظلم وسوء المعاملة من طرف الأم، حيث قالت: "تضربني، تزعف عليا "، دون أن تشير إلى وجود لحظات حنان أو احتواء. وقد لوحظ خلال التفاعل معها أنها تتجنب الحديث باستفاضة عن الأم، كما أبدت توترًا حركيًا عند ذكرها، وهو ما يعكس تداخلاً بين الخوف والرفض.

هذا النمط من الرعاية يشير إلى بيئة أسرية قاسية تفتقر إلى الاستقرار العاطفي والاحتواء، ويؤدي إلى إحباط حاجات الطفل النفسية الأساسية.

3. تصورات الذات و الهوية:

يظهر لدى الطفلة تصور ذاتي متذبذب، حيث تتأرجح بين الشعور بالضعف وعدم الكفاءة ومحاولات التظاهر بالقوة والسيطرة على المحيط. هذا التذبذب يعبر عن ضعف في التماسك النفسي وتقدير الذات، مما يجعلها عرضة لمواقف من الإحباط والغضب.

أما تصورها للآخرين، فهو يتسم بالريبة والشك، حيث تنظر إلى المحيطين بها كمصادر تهديد أو رفض، ولا تثق بسهولة بالأشخاص المحيطين بها، حتى ممن يفترض أن يقدموا لها الدعم والرعاية. هذا الانعدام في الثقة يعكس نمط تعلق غير آمن ويزيد من عزلة الطفلة النفسية والاجتماعية. تتداخل هذه التصورات لتشكل دورة سلبية؛ ضعف تقدير الذات يزيد من حدة الخوف من الآخر، وفي المقابل، تجاربها مع الآخرين تعزز مشاعر الرفض والقلق الداخلي. تبرز هذه الديناميكية في سلوكها من خلال ردود فعل متقلبة و غضب، وسلوكيات عدوانية أحيانًا، كوسائل تعبير عن صراعها الداخلي ومحاولتها فرض السيطرة على محيطها.

تظهر الطفلة أيضًا اعتمادها على آليات دفاعية مثل التماهي مع المعتدي والإسقاط ، التي تساعدها على مواجهة الصراعات النفسية الناتجة عن هذا التوتر بين تصور الذات والآخر، لكنها في الواقع تعكس هشاشة نفسية تجعلها عرضة للاضطرابات السلوكية.

4. استثمار الموضوع:

لوحظ أن الطفلة تُظهر ضعفًا في استثمار علاقتها بالآخرين، خاصة الأم، إذ تتسم علاقتها بها بالرفض والعدوانية. كما أن الطفلة خلال المقابلة بدت متوترة، مترددة، غير منسجمة، وتظهر ميلاً إلى تفادي الانخراط العاطفي الحقيقي مع المحاور.

وفي الوقت ذاته، لوحظ أن استثمارها للأشخاص الآخرين يتجه بشكل عدواني، كما صرحت:

" نضرب صديقاتي، نكسر الأشياء، نخلف ضربتي "، ما يعكس نمطًا دفاعيًا يعتمد على الإسقاط و التماهي، و أن علاقاتها كلها مع أصدقائها تتسم بالعدوانية مع ملاحظة ابتسامات عند الحديث عن ذلك وهو ما يُفسره التحليل النفسي باعتباره انعكاسًا لهشاشة العلاقة الأصلية بالموضوع الوالدي، ومحاولة لتفريغ التوتر الداخلي.

كما أن استخدام آلية الدفاع الإسقاط يظهر من خلال إرجاع سبب عدوانها إلى الآخرين، دون إدراك داخلي لمصدر الغضب، وهو ما يطابق ما طرحه "ميكانيزم الدفاع" عند آنا فرويد و"الإسقاط العدواني" في تحليل العلاقات الموضوعية. و آلية الانشطار التي بدت واضحة و ذلك للتقلبات المزاجية التي توضحت في نفس الوقت حيث تظهر عدوانية مع بكاء و غضب ثم الانتقال إلى الضحك مباشرة بعد رد الفعل الهجومي على الآخرين.

5. الصراع النفسي:

الطفلة تعيش حالة من التنازع الداخلي بين حاجتها للانتماء والحب، وبين إحساسها بالتهديد والعقاب. فقد صرّحت بأنها تبكي كثيرًا، لكنها لا تثق بأحد، ما يدل على مقاومة عميقة للتقارب العاطفي نتيجة لتجارب خذلان سابقة.

- **المقابلة بين مقدم الرعاية (الأم) و الحالة الثانية**

بعد مقارنة ما صرّحت به الأم في مقابلتها مع ما عبّرت عنه الطفلة، يمكن ملاحظة عدة تباينات وتقاطعات في وجهات النظر حول طبيعة العلاقة الأسرية، والسلوكيات، والانفعالات، وطريقة التفاعل مع البيئة المحيطة.

العلاقة بين الأم والطفلة تتميز بالتناقض، حيث تعترف الأم بوجود حب بينهما لكنها تؤكد على ضرورة العقاب لضبط السلوك، بينما الطفلة لا تعبر عن حبها للأم بشكل مباشر، مما قد يكون مؤشرًا على نمط تعلق غير آمن مع عدم تعبير الطفلة عن حبها للأم قد يكون انعكاسًا لأسلوب التربية الصارم الذي قد يجعلها ترى العقاب كإشارة إلى رفض الأم لها، مما يدفعها إلى تبني موقف غير عاطفي كآلية دفاعية و هناك اتفاق بين الأم والطفلة حول كونها مشاغبة، ولكن الطفلة لا ترى أن هذه السلوكيات مشكلة ،بل وسيلة تعبيرعن ذاتها.

– قد يكون السلوك العدواني للطفلة انعكاسًا لنمط التربية الصارم الذي تعرضت له، حيث تتعامل مع الآخرين بنفس الطريقة التي تواجهها داخل المنزل. كما أن العقاب المتكرر من الأمر بما لم يكن وسيلة فعالة لضبط السلوك، بل عزّز لدى الحالة شعورًا بالتمرد والعدوانية كرد فعل على الشعور بالتحكم الزائد.

– رغم أن الأم قدّمت لطفلتها الرعاية الأساسية، إلا أن العلاقة العاطفية ربما لم تكن قوية بالشكل الكافي في المراحل الأولى من الحياة، مما انعكس على تفاعل الطفلة الحالي مع الآخرين.

2.2.1. تحليل اختبار رسم العائلة:

تم التحليل مع التركيز على المؤشرين العلائقي و الإسقاطي:

❖ **المؤشر العلائقي:**

✓ تمركز ابنة خالتها بين الأم والطفلة قد يعكس تجربة منافسة أو غيرة، كما قد يرمز إلى وجود طرف ثالث في العلاقة يُشوش على الارتباط الوالدي.

✓ الشخصيات الثلاث مرسومة متجاورة، لكن غياب التفاعل أو التلامس الجسدي بينها يعكس هشاشة في الروابط الانفعالية.

✓ على الرغم من رسم اليدين للجميع، إلا أن توزيعها لا يُظهر أي علاقة عاطفة، ما يعكس احتياجًا غير مشبع للتقارب الجسدي والعاطفي.

✓ هذا يشير إلى نمط تعلق غير آمن غير المنظم، حيث تسعى الطفلة للقرب وتحتمي بالأم، لكنها تعيش خيبات متكررة.

❖ **المؤشر الإسقاطي:**

✓ رسم الأزهار يبرز حاجة لا شعورية إلى الجمال، الأمان، والحنان، وغالبًا ما يُفهم كإسقاط لرغبات مكبوتة في بيئة غير مشبعة وجدانيًا.

✓ الألوان والمبالغة في التفاصيل تشير إلى شحنة وجدانية عالية، وقد تحمل تعبيرًا غير مباشر عن صراعات داخلية لا تقدر الطفلة على التعبير عنها لفظيًا.

✓ الخطوط مشوشة و مترددة ، ما يدل على تذبذب في تصورات الذات والآخر، وانقسام وجداني تجاه الأم. (أنظر الملحق رقم 02)

3.2.1. التشخيص:

التشخيص التصنيفي:

- انفعالات عدوانية و غضب متكرر
- سلوك تحدي وتمرد واضح ضد القواعد الأسرية والمدرسية
- كذب متكرر واستخدام الاحتيال
- تخريب متعمد لبعض الممتلكات
- عدم احترام حقوق الآخرين وقلة التعاطف
- تصرفات اندفاعية وغير محسوبة
- صعوبة في بناء علاقات مستقرة مع الآخرين

II. مناقشة نتائج الدراسة:

1. مناقشة النتائج على ضوء الفرضية و الإطار النظري:

انطلاقًا من نتائج الدراسة للحالتين، تم تحليل المعطيات ضمن محاور تتقاطع مع المتغيرين الأساسيين: نمط التعلق غير الآمن و الاضطرابات النفسية. وقد تمت مناقشة كل محور وفق المنظور السيكوديناميكي والمقاربات النظرية ونظرية التعلق، بما يخدم تأكيد صحة الفرضية القائلة بأن غياب الرعاية المتكيفة يؤدي إلى خلل في التنظيم النفسي الداخلي وتصورات الذات والآخر.

- **التفاعل العلائقي:**

لوحظ على الحالتين وجود ضعف في جودة التفاعل مع مقدم الرعاية، حيث تم تسجيل مؤشرات تدل على التواصل المشوب بالتناقض، التسلط، أو الغياب العاطفي. عند الحالة الأولى، كان التفاعل محكوما بالتجنب والبرود الانفعالي، بينما ظهرت لدى الحالة الثانية مظاهر سلوكية (عدوان، استفزاز)، مما يدل على نمط تفاعل مضطرب.

وفق "(Bowlby, 1969) " فإن الطفل الذي لا يتلقّ استجابات ثابتة ومتوافقة من مقدم الرعاية، يطور تصورات علائقية غير مستقرة، تقوده إلى سلوكيات غير منظمة في العلاقات المستقبلية. وهو ما انعكس في حالة التجنب (الحالة الأولى) والقلق العدواني (الحالة الثانية).

- **نمط التعلق:**

أظهرت الدراسة أن الحالتين تعانيان من أنماط تعلق غير آمنة: تعلق تجنبي مع نوى بنية حدية عند الحالة الأولى، وتعلق قلِق مع اضطرابات سلوكية عند الحالة الثانية. غياب الإشباع الانفعالي، وردود الفعل غير المتكيفة من الأم، عمّقا الشعور بالرفض والإحباط.

حسب "(Marry Ainsworth, 1978) "، فإن نمط التعلق يتشكل في السنة الأولى من الحياة بناءً على كيفية استجابة الأم لحاجات الطفل. النمط غير الآمن يقود إلى خلل في التنظيم العاطفي، وميكانيزمات دفاع بدائية، كما هو ملاحظ في الحالتين.

كما أكد (Spitz, 1945) "أن حرمان الطفل من التواصل الوجداني يؤدي إلى "الاكتئاب الانفصالي"، واضطرابات في التكيف، وهي فرضية تدعم ما لوحظ عند الحالة الثانية.

- **تمثل الذات والهوية:**

تم تسجيل ضبابية في الحديث عن الذات لدى الحالة الأولى، واستخدام تعبيرات جسدية غير لفظية تعكس فقدان الشعور بالتماسك الداخلي. أما الحالة الثانية، فأظهرت صورة ذات مهتزة، مصحوبة باندفاعية سلوكية دفاعية.

من منظور التحليل النفسي، تؤدي التجارب الانفعالية غير المتكيفة في الطفولة إلى تكوّن صورة ذات مجزأة .(Winnicott,1966) وفي غياب "البيئة الحاضنة "، تتشكل تصورات ذات مضطربة، مما يزيد من الاعتماد على الدفاعات البدائية.

تشير " (Horney, 1950) "إلى أن القلق الطفولي الناتج عن انعدام الأمان يُنتج نماذج داخلية سلبية، تُثقل الهوية وتعرقل الاستقرار النفسي، وهو ما تجسد في نتائج تحليل الرسومات واللغة الذاتية في الحالتين.

- **الرعاية:**

يشير ضعف الرعاية الحانية والمستمرة إلى غياب البيئة الآمنة التي يحتاجها الطفل لبناء علاقة تعلق آمنة. وفقًا لنظرية التعلق (Bowlby 1969)، فإن عدم توفر رعاية مستقرة ومتجاوبة يؤدي إلى تشكيل نمط تعلق غير آمن لدى الطفل، مما يعرضه لصعوبات في تنظيم العواطف وسلوكيات غير متزنة مثل اضطرابات السلوك.

- **الاستثمار في الموضوع:**

يشير ضعف الاستثمار في الموضوع إلى عدم قدرة الطفل على بناء روابط نفسية مستقرة مع مقدمي الرعاية. وفقًا لنظرية العلاقات الموضوعية(Klein1946 , Winnicott 1965) ، فإن هذه الروابط تشكل أسسًا لصورة الذات والآخر، وعندما تكون هذه الروابط مهزوزة، تظهر صراعات داخلية واضطرابات نفسية وسلوكية و آليات دفاعية كالانشطار .

- **محور الصراع النفسي:**

توضح النظرية النفسية الديناميكية (Freud 1923 & Vaillant 1992) أن الصراعات الداخلية بين الرغبات والقلق، الناتجة عن تجارب الطفولة المؤلمة (مثل الهجر أو الإهمال)، تؤدي إلى

استخدام آليات دفاع نفسية (الإسقاط و غيرها) التي تحاول حماية الذات لكنها قد تخلق اضطرابات في السلوك النفسي والاجتماعي.

الإستنتاج

تكشف نتائج هذه الدراسة الميدانية، انطلاقًا من تحليل حالتين لطفلين متبنيين، عن الأثر العميق للتعلق غير الآمن في تشكّل البنية النفسية ونمو التنظيم الانفعالي والعلائقي. فقد أظهرت المؤشرات الإكلينيكية والسلوكية أن غياب علاقة آمنة ومستقرة مع مقدم الرعاية الأساسي – خاصة الأم – أدى إلى اضطرابات على مستوى التفاعل العاطفي والاجتماعي، وصعوبات في تنظيم المشاعر، وانعدام التكامل في تصور الذات والآخر. من منظور سيكوديناميكي، يشير هذا إلى تثبيت الطفل عند مراحل أولية من التطور النفسي، حيث تبرز آليات دفاع بدائية مثل الإسقاط، التعويض، والانشطار، تعكس محاولات دفاعية لمواجهة الخوف من الرفض والهجر والخذلان العاطفي.

إن النقص في الرعاية الوالدية والاتساق الانفعالي يعوق بناء علاقة موضوعية داخلية مستقرة، مما يضعف قدرة الطفل على استثمار الآخر في علاقات آمنة، ويجعل التعلق مشحونًا بالتناقض والارتباك. كما أن انعدام النموذج الوالدي المتفاعل يعيق تكون هوية متماسكة، ويؤدي

إلى اضطرابات في السلوك والانفعال، تتجلى في العدوانية، الكذب، الغضب، أو الانطواء، كترجمة لمشاعر مكبوتة لم تجد منفذًا تعبيريا صحيا.

فبالتالي، توضح الدراسة أن التعلق غير الآمن ليس مجرد نمط تواصلي سلبي، بل هو نتيجة لتجارب عاطفية أولية مشوهة تؤثر على مجمل البنية النفسية للطفل. كما أن الطفل المتبنى، بحكم فقدانه للرابط البيولوجي والعاطفي الأولي، يكون أكثر عرضة لبناء تنظيم نفسي هش، خاصة إذا تكررت لديه خبرات الرفض أو التهديد العاطفي.

خاتمة

خاتمة:

في ختام هذا البحث، نؤكد أن دراسة التعلق غير الآمن وتأثيره العميق على الصحة النفسية للأطفال المتبنين تفتح لنا نافذة لفهم أبعاد معقدة من النفس الإنسانية، خصوصاً في مراحل الطفولة الحساسة التي تشكل الأساس لبناء الهوية النفسية والاجتماعية. من خلال تحليل حالة الطفلة نسيناه والحالات الأخرى، برزت بوضوح العلاقة المتشابكة بين أنماط التعلق غير الآمن وآليات الدفاع النفسي، وكيفية تعبير الأطفال عن صراعاتهم الداخلية عبر سلوكيات تعكس أزمات عميقة في تصور الذات والآخر.

إن التشخيص الدقيق والتعامل المبكر مع اضطرابات السلوك لدى الأطفال المتبنين لا يعد فقط خطوة علاجية بل هو استثمار في مستقبلهم النفسي والاجتماعي، يضمن لهم بيئة أكثر أمانًا واستقرارًا تساعدهم على تجاوز تجاربهم الصادمة وبناء علاقات صحية مستدامة. ويظل الأمل معقودًا على جهود الأهل، المختصين، والمجتمع في توفير الدعم النفسي والتربوي المناسب، الذي يمكن أن يحول الألم إلى فرصة للتعافي.

قائمة المصادر و المراجع

قائمة المصادر و المراجع:

- المراجع باللغة الأجنبية

1. Pieget ,J 1972 . intellectual evolution from adolescence to adulthood. Human Development, 15(1),1-12.
2. WHO 2001-World Health Organization. 2001. International Classification of Functioning, Disability and Health (ICF). Geneva: World Health Organization.
3. Bowlby, J. 1969. Attachment and Loss: Volume 1 – Attachment. New York.
4. Winnicott, D.W. 1965. The maturational processes and the facilitating environment: Studies in the theory of emotional development. London: Hogarth Press.
5. Erikson, E. H.1959. Identity and the life cycle. New York: International Universities Press.
6. Winnicott 1966 comprendre le théorie de l'attachement selon Winnicott. Publier par la rédaction le 12 novembre 2004.
7. Horney, K.1950. Neurosis and Human Growth: The Struggle Toward Self-Realization. New York: W. W. Norton & Company.
8. Winnicott, D. W. 1965. The maturational processes and the facilitating environment: Studies in the theory of emotional development. London: Hogarth Press.
9. Klein, M. 1946. Notes on some schizoid mechanisms. International Journal of Psycho-Analysis.
10. Freud, S. 1923. The Ego and the Id. In J. Strachey (Ed. & Trans.), The Standard Edition of the Complete Psychological Works of Sigmund Freud Vol. 19 London: Hogarth Press.
11. Vaillant, G. E. 1992. Ego Mechanisms of Defense: A Guide for Clinicians and Researchers. Washington, DC: American Psychiatric Press.
12. Harlow, H. F. 1958. The nature of love. American Psychologist 13-12 / 673-685.
13. Spitz, R. A. 1945. Hospitalism: An inquiry into the genesis of psychiatric conditions in early childhood. The Psychoanalytic Study of the Child.
14. Ainsworth, M. 1978. Patterns of attachment: A psychological study of the strange situation. Hillsdale Associates.

15. Bowlby, J. 1973 Attachment and Loss: Vol. 2. Separation: Anxiety and Anger. New York.
16. Bowlby j. 2007 attachement et perte .la séparation angoisse et colère .(Vol 2). Paris.france : puf.
17. Bergeret, J. 1996 La pathologie narcissique : transfert, contre-transfert, technique de cure. Paris: Dunod.
18. Ainsworth, M. 1962 The development of infant-mother attachment. Home Observation for Measurement of the Environment.
19. Guédeney, N. 2006. Attachment and friendship. Enfances & Psy, 2006(2)
20. Klein, M. 1946. Notes on some schizoid mechanisms. International Journal of Psychoanalysis, 27.
21. Winnicott, D. W. 1966. The Family and Individual Development. New York.
22. Main, M., & Solomon, J. (1990). Procedures for identifying infants as disorganized/disoriented during the Ainsworth Strange Situation. In M. T. Greenberg, D. Cicchetti, Attachment in the preschool years: Theory, research, and intervention.
23. Jourdan-Ionescu, C. & Lachance, J. (2000).Le dessin de la famille.

- المراجع باللغة العربية

1. أ.م.علي عبد الرحيم صالح .2021. سيكولوجية التعلق خفايا الارتباطات الإنسانية من الوالدين إلى الله. جامعة القادسية ، كلية الآداب (ط1). دار مسامير للطباعة و النشر و التوزيع .العراق.
2. رماس رشيدة. 2018 . تمثلات الذات و الدوافع نحو الدراسة عند المراهقين . دراسة مقارنة بين الإناث و الذكور .جامعة وهران 2.
3. سناء فهد بن فريح التميمي. 2020. أنماط التعلق الآمن وغير الآمن و علاقتهما ببعض خصائص الشخصية و المعرفية لدى الطفل في مرحلة الطفولة المبكرة .مجلة كلية التربية. جامعة المنصورة العدد 112.
4. د.مخلوف بن تونس ساجية ، ثابت بلعيد ملخير. 2017 . أنماط التعلق و علاقتها بالعدوانية لدى الأطفال المتمدرسين. جامعة الجزائر 2.

5. فكري عايدة محمد . 2008. أنماط التعلق و علاقتها بالاكتئاب النفسي لدى المراهقين ،دراسة سيكومترية– إكلينيكية . كلية التربية قسم الصحة النفسية. جامعة الزقازيق.
6. معاذ أحمد قايد مقران ، مرسلة عبده نعمان العواضي . 2023 .التعلق غير الآمن كمنبئ ببعض اضطرابات الشخصية لدى طلبة جامعة إب ، كلية جامعة إب . اليمن . المجلة العلمية للعلوم التربوية و الصحة النفسية .المجلد 5. العدد 02.
7. طاشمة راضية ، سيب عبد الرزاق ، طاشمة لطيفة .2021. العلاقة بين اضطراب نقص الانتباه / فرط الحركة و التعلق غير الآمن . المجلد 20. العدد 04. جامعة تلمسان الجزائر.
8. فيصل عباس . لا توجد سنة . الموسوعة الكبرى لعلم النفس و التربية ، ميادين علم النفس و مدارسه لموضوعات علم النفس النظري و التطبيقي . المجلد الثاني . النشر: مركز الشرق الأوسط الثقافي .بيروت.

الملاحق

الملاحق:

رسم اختبار العائلة للحالة الأولى:

الملحق رقم 01

رسم اختبار العائلة للحالة الثانية:

الملحق رقم 02